العدد السابع

كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٠

السنة الثالثة

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

انها خيـــــانة ... ورقاعة

على رسلك يا رقيع ! لن نكلمك بغير ما تستحق ، فقد تعودنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم ونعاملهم على قدر اخلاقهم .

نوجه الحديث اليك أنت وقد سماك الناس انسي الحاج ولا ندري لم سموك بهذا الاسم فقد تـكون بغيره أحـق .

وقفت في زاويتك ـ وقد سميتها على زعمك ـ الفكرية ، في احدى صحف لبنان الشقيق لتنفث سمومك على كل ما هو عربي ، على الشعر العربي القديم ، وعلى التراث ، وعلى اللغة وتتهم الفكر العربي بالعقم ، وتتهم اللغة العربية بأنها تقصر عن ان تـكون لبوسا لافكار انسان اليوم . وكأنك ـ لاحياك الله ـ آمنت ولو لفترة عابرة بذكاء الناس فانبرت صفاقتك لتقول : ان كان في ذلـك خيانـة فأنا خائن واهلا بالخيانـــة .

لن نقول عنك انك من مدرسة فكرية معينة لاننا بصدد اللغة والادب وأنت عنهما بعيد . ولن نقـول عنـك كما قال الاستاذ الاديب جورج باسيلا انـك من زمرة سعيد عقل واحد صبيته الذين كرهــوا الحروف العربية فنادوا للكتابة بالاحرف اللاتينيـة ، فرقاعة هؤلاء من نوع آخر . ولن نسألك من اجل من تكتب ، فان قلت من اجل هذا الجيل فسنقول لك : انك كاذب . لاننا من الجيل ولن نحاول الخروج عن تراثنا رغم نزوعنا الى التجديد . ولكنا نهيب بك أن تسأل أي انسان ـ ومهما كانت درجة ثقافته ـ عن رأيه فيما كتبت . ثق انه سيجيبك بقوله : أشم رائحة العملات الاجنبية بين حروفك . ونحن نضعك في اعناقنا ونقولها ـ ونحن مسؤولون عما نقول ـ انك مأجـور .

أيهـا الكاتب (الشهم) ! لك بعد هذا ألف عـذر في كل ما كتبت ، لان لغة وسعت بلاغة علي بن أبي طالب ، وحـكمة المتنبي وفصاحة الشريف الرضي وفلسفة ابن سينا والمعري وشاعرية أبي نواس وابن الرومي لهي أضيق من أن تتسع لاسـلوب الخيانـة والدس وطرق الدعاية المأجورة .

أيهـا الكاتب (الفاضل) هذا غيض ما تستحق من فيض ما عندنا لامثالك ، ولكن ثق أننا سنترك أمرك اليوم لسادة الحرف من أدباء لبنان الشقيـق فهم أعلم بك وأدرى بطرق تأديبك . وثق أن هـذه الامة بعد ان فتحت أعينها الى النور لم يعـد يخفى عليها المغرضون المأجورون .

أيهـا الصغار : لا تعبثوا بتراث العرب ولغتهـم ففيها وحدتهم وعزتهم ان كنتم لا تعلمون .

وللسفود نـار لو تلقت بجاحمهــا حديدا ظن شحما

ويشـوي الصخر يتركه رمادا فكيف وقـد رميتك فيـه لحما

دمشق : مدحة عكاش

الشرق والغرب في فلسفة رينيه جينون

بقلم : الدكتور بديع الكسم

يعتقد رينيه جينون ـ او عبد الواحد يحيى ـ ان الغرب يجتاز ازمة خطيرة تهدد كيانه بانهيار شامل ، وان هذا الغرب المحتضر لا يستطيع مطلقا ان ينقذ نفسه بنفسه ، وانما هو بحاجة ماسة الى معونة روحية من الشرق . ولا شك ان جينون على حق كبير في نظرته الاجمالية هذه وان كنا نخالفه في فهم الطريقة التي تكفل هذا الانقاذ الحضاري . ولكننا نسأل : هل استطاع جينون ان يبين ايضا كيف يجب ان ينطلق الشرق العريق ؟

* * *

جينون مفكر فرنسي معاصر عاش تجربة البحث عن الحقيقة الاولى بكل ما تقتضيه من حماسة واندفاع وقلق . اتجه في مطلع هذا القرن الى دراسة الرياضيات في جامعة باريس ، آملا ان يجد بها طريقة المعرفة ، ولكنه مالبث ان تركها في سبيل دراسات اخرى ظن انها أمتع وانفع . وظل ينتقل متخبطا بين الحركات والجمعيات الفكرية في فرنسا حتى يئس من ثقافة الغرب كلها ، وحتى قاده يأسه الى ان يطرق باب الحضارات في الشرق القديم ، ليتعمق فلسفات الهند بوجه خاص . وفي عام ١٩٠٩ اصدر مجلة «المعرفة» التي اختصت بابحاث عن الاسلام والديانة الهندية . وبعد ثلاثة اعوام اعتنق رينيه جينون الاسلام وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى ، وظل يتابع كتابة الابحاث في المجلات المختلفة ودرس الفلسفة حينا من الوقت في فرنسا والجزائر ، ويصدر الكتب عن الثقافة الهندية وعن علائق الشرق بالغرب ، وعن ازمة العالم الحديث حتى عرضت عليه احدى دور النشر في باريز عام ١٩٣٠ ان يسافر الى القاهرة ليتصل بالثقافة الصوفية الاسلامية ويترجم عنها بعض النصوص . وانتقل جينون الى القاهرة ، ولكنه بقي فيها اكثر من عشرين سنة يعيش حياة التأمل والتصوف دون ان ينقطع مع ذلك عن الاستمرار في التأليف ، وعن الاسهام في اصدار مجلة « المعرفة » ، وتزوج عبد الواحد يحيى كريمة الشيخ محمد ابراهيم عام ١٩٢٤ وعاش في حي الدقي حتى وافته منيته بين افراد اسرته عام ١٩٥١ .

لا يتسع بنا المجال لان نتحدث عن اعتناق جينون للاسلام وعن تأملاته في التصوف الاسلامي . ويكفي ان نحيل القاريء الى الكتيب الذي ألفه بالعربية عن جينون واشار فيه الدكتور عبد الحليم محمود ، الاستاذ بكلية اصول الدين بالازهر والذي نقل فيه الى العربية بعض الصفحات من كتب جينون واشار فيه ايضا الى اوجه الشبه بينه وبين الغزالي من حيث التطلع الى المعرفة واليقين ، والى الصلة بينه وبين الشيخ محي الدين بن عربي من حيث العلاقة بين الظاهر والباطن ، بين الشريعة والحقيقة ، بين القشر واللب . ولكن اذا عرفنا ان جينون كان يؤمن بوحدة الحقيقة وبأن العقائد الهندية والصينية والاسلامية بل والغربية في القرون الوسطى ، انما هي تعبيرات متقاربة عن هذه الحقيقة ادركنا اهتمام جينون البالغ بتراث الهند الروحي ، وادركنا ايضا ما يراه بعض النقاد الفرنسيون عندما يفسرون اعتناق جينون للاسلام بالصعوبة التي يجدها الاوربي في الخضوع للفكر الهندي . ونحب ان نشير هنا الى كلمة كتبها اندريه جيد في « يومياته » قال فيها : ماذا كنت اصبح لو قرأت مؤلفات جينون في شبابي ؟ لقد قضي الامر ولم يعد بالامكان عمل أي شيء » .

ومهما يكن من امر فاننا نود ان نقف وقفة قصيرة عند كتاب اساسي لجينون هو كتاب « أزمة العالم الحديث » .

* * *

يرى جينون ان فكرة التقدم المستمر لحضارة انسانية واحدة خرافة فجة وان هناك دوائر حضارية قابلة للنمو والانهيار . والحضارة الغربية الحديثة تجتاز الآن مرحلة اخيرة من مراحل عصرها المظلم فقد اخذت تسرع في التدهور ابتداء من نهاية العصر

الوسيط وبفعل ما يسمى خطأ بحركتي النهضة والاصلاح ، وما نتج عنهما في ميادين العلم والفلسفة والتنظيم الاجتماعي . ان «انسانية» حركة النهضة تعني الاستغناء عن مبدأ اسمي والاكتفاء بمشكلات الانسان الارضية . اما العلم فقد اتجه وجهة المعرفة الكمية والتفسير الظاهري دون ان يطلعنا على حقائق الطبيعة الانسانية والفلسفة بدورها اتجهت نحو المادية والنفعية ، وخاصة بعد ان دعا ديكارت الى نظرة آلية في فهم الطبيعة ، والى انكار كل مايتجاوز العقل . وطبيعي ، في رأي جينون ، ان يتبع المذهب العقلي عند ديكارت مذهب نسبي عند كانت ووصفي عند كونت يفكر كل منهما معرفه الاشياء في ذاتها . واذا حصر النشاط الروحي في ميدان الطبيعة وكانت الطبيعة نفسها تفي التغيير والصيرورة اصبح من السهل ان يفقد الوجود ثباته ومعناه ، وان تستحيل الحقيقة الى منفعة عند جيمس ، وان يلجأ برجسون الى ملكة اوفى من العقل لفهم ما هو اسمى من العقل.

وقد كان لابد لهذه النزعة نحو الكم ونحو السطحيه والظاهر في مجال الفكر ان ترافقها نزعة نحو الكم ونحو السطحية في مجال الحياة الاجتماعية . فنشوء الديموقراطيات في اوروبا تعبير عن الخضوع لعالم الكم وعن تقديس كل مايتصف بالكتلة والوزن . فالديموقراطية ، وشأنها في ذلك شأن المادية ، تخضع الاعلى للادنى وتوهم الناس انها تحقق لهم الرفاهيه والحرية . فالحضارة الغربية الحديثة اذن حضارة مادية بمعنى انها تقف عند ما هو حسي وظاهري ولا تحاول ان تشبع غير مطالب الحياة الارضيه . أفغريب بعد ذلك ان ارى التكالب المادي الى التعصب القومي والى الحروب الاستعمارية ؟

ان الغرب لايملك سوى قوة مادية . والعجيب فيه انه يريد السيطرة على العالم الشرقي باسم الحق والحرية والعدالة والحضارة ، وانه لايفسر تمرد هذا الشرق عليه الا بالتعصب والكراهية .

يقول جينون : يكاد لا يوجد اليوم في الغرب سوى نوعين من الناس : البسطاء الذين تخدعهم الالفاظ الكبرى وتدفعهم سذاجتهم الى ان يؤمنوا برسالتهم الحضارية دون ان ينتبهوا الى البربرية المادية التي هم فيها غارقون ، والمهرة الذين يستغلون البسطاء لارضاء مالديهم من غرائز الشره والقسوة . ما العمل اذن ؟ ان مدنية الغرب في تفسخ وانهيار . وعبثا نبحث فيها عن خميرة روحية تصلح لان تكون نواة لحركة تعيد اليه التوازن الصحيح . فلا بد في نظر جينون ان تتصل صفوة من رجال العرب بمنابع الحياة الروحية في الشرق اتصالا صحيحا حتى تعد نفسها لانقاذ ما يمكن انقاذه من الحضارة الهرمية وعندها يمكن ان يتم التفاهم بين الشرق والغرب على اساس من تقديس المبادىء والاعتراف بالحقيقة السامية الواحدة .

* * *

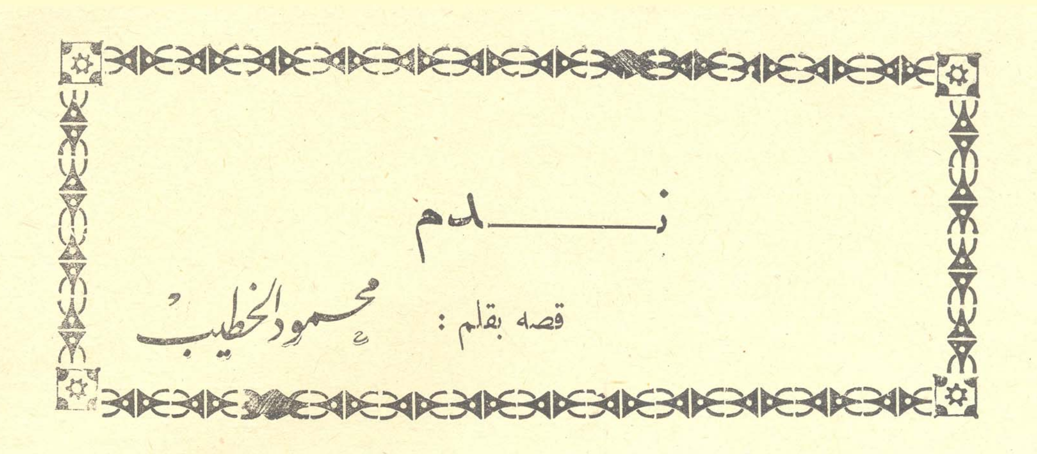
تلك هي الخطوط العريضة لنظرة جينون التى حاول فيها ان يشخص الداء ويعين الدواء . ونحن نؤمن معه ان مدنية الغرب مادية في جملتها . و نقصد بالمادية هنا نظرة في المعرفة والوجود بقدر مانقصد بها نزعة عملية في بناء الحياة . ويكفينا لكي نثق من حكمنا هذا ان نتجاوز المحاولات الفرديه القليلة التي تكتفي غالبا بأن تنجو بنفسها ، لننظر الى المحصلة النهائية لمدنية الغرب اليوم . انها تتمثل في الطغيان على الشعوب المستضعفة من جهة ، وفي هذا الكابوس الذي يشعر الانسانية بأنها مهددة بالانفجار .

ولكننا لسنا واثقين من ان ضمير الغرب يمكن ان يستيقظ بفضل صفوة من ابنائه وعلى هدي النداء الروحي النابع من اعماق التاريخ الشرقي .

وانا نثق بان الغرب لابد ان يستيقظ ، وان يستيقظ بعنف تحت ضربات الوعي التقدمي في الشرق المنطلق .

ويكفينا مثلا واحدا على ذلك ثورة الجزائر . لقد عرفت فرنسا خلال القرن الماضي كثيرا من المفكرين المؤمنين بالانسانية والعدالة . ولكن ايمانهم هذا كان عاجزا عن ان يثير قضية الشعوب المضطهدة على صعيد العمل الجدي . ولكن ما ان تحدى عرب الجزائر مسؤولية المفكرين في فرنسا حتى احرجوهم بقسوة والزموهم باتخاذ موقف يصفل بين دعوة الصدق وبين دعوة الرياء . نعم ان طاقة الشرق الروحية قادرة على تحرير الغرب من طغيانه ، وهي قادرة على ان تعيد الى ذهنه معنى الانسانية الصاعدة في طريق الحق . ولكنها لن تستطيع ذلك الا بمقدار صمودها وجرأتها ووعيها . ولنعترف هنا بأن هذا الوعي بحاجة الى انماء دائم وانضاج مستمر .

فجينون على حق عندما يحذر الشرق من التمرد



لكزت مكنستي في « الكوم » بحنق وعصبية ففاحت منه رائحة قاذورات منتنة ، وقد تضمخ الهواء بها فأدرت وجهي مع اتجاه الريح واستطردت بضيق كمن يتقيأ : ربي خلصني من هذه «الزبالة» ؟

ودفعت مكنستي مرة اخرى فاندفع امامها كوم من اوساخ الشارع .

أنا «زبال» .

تمخض لي القدر عن هذه المهنة وقدمها بكل تأفف راضيا كنت بها أم مشمئزا . غير انني قبلتها على كره منذ عشرين عاما ... لانني مضطر . ـ سأغطي بها مقتضيات عيشي ... ثم ابحث بعد ذلك عن عمل جديد ..

هذا ما قلته قبل عشرين سنة ... في ذلك اليوم ... عندما وقفت في طابور طويل اصطف أفراده نتيجة لاعلان يعلن عن حاجة قسم « النظافة » في دائرة « البلدية » لعشرين رجل يقومون بمهمة التكنيس في شوارع المدينة .

وكنت أنا من بينهم ... أولئك العشرين ... وعلقت على ذراعي « زبال رقم ٩ » . وبعد عشرين عاما اصبح الزبال رقم « ٩ » زبال رقم « ١ » ... وتبعني في الرقم الثاني زبال رقم « ٩٢ » ... ووصل آخر رقم في جدول الكناسين اليوم « ١٠٠١ » ... وأنا .. كما كنت !! ... لا زلت ! ..

عشرون عاما ؟! ... هكذا مضين ؟! ... بين اكوام « الوسخ » والروائح المنتنة !! .. وبلا زيادة !.. ولا ترقية ! ... ولا احترام ! ... (الله اكبر) ! ..

ودفعت «المكنسة» مرة ثالثة .. وبصقت ! .. بصقت بشدة ... وعدت احدث نفسي بقهر :

وأنت يا «بهية» ! ... ما لي أراك غاضبة هكذا ؟! .. لماذا تنفرين مني ؟! ... الانني أكد واعمل من

على الغرب ضمن اطار المدنية الغربية وحدها ، أي بمفاهيم الغرب ووسائله واهدافه . فلا بد للشرق من ان يجند ايمانه بالمطلق وبالقيم الحية في معركة التحرير الانساني . ولكن جينون ، لم ينبه ، فيما نظن ، الى خطر آخر يمكن ان يشوه الانتفاضة التاريخية المقبلة . فمن الخطر على نضال الشرق ان توجهه نفسية كان الاضطهاد نفسه قد حرفها عن اعتدالها ، نفسية كفرت بالعلم والعقل لانهما يسودان في الغرب ، ونسيت ان الكشف عن اسرار الطبيعة ، والاستفادة منها لاغناء امكانيات الانسان والارتقاء بنمط حياته ، كل ذلك جزء لا يتجزأ من رسالة الفكر الباحث عن الحقيقة الكبرى .

لا بد لنهضة الشرق اذن من ان تعي واجبها في تمثل الانتصارات الانسانية في جميع الميادين بحيث لا تنحرف القومية الى تعصب . وبحيث لا ينحرف الايمان بالشعب الى التضحية بالاصالة الفردية ، كما يخشى ذلك جينون ، ولكن بحيث لا يشوه هذه النهضة ايضا ماتولده استجابة التمرد التلقائية من غرور وانكماش وتنكر لطريق التقدم .

ولعلنا ان نكون ، نحن العرب بحكم وجودنا الطبيعي ، وبحكم ثقافتنا العريقة وتطلعاتنا الحضارية اول من يقع عليه عبء المشاركة في توجيه هذه النهضة نحو الارتقاء بالانسان .

الدكتور بديع الكسم

اجلك ؟! ... من اجلك انت ؟! ... انت يابهية !.. لماذا تتقززين بهذا الشكل ؟! .. كأنني دنس ! ... هل ارغمتك على قبولي زوجا ؟ ... ألم تأتني راضية مسرورة ؟ .. ألا تذكرين ذلك اليوم ؟ ..(واطرقت بغير وعي .. واحسست كأن شيئا يسحقني .. واتكأت على عصا المكنسة ثم ارخيت جسمي) ... أجل ... ألا تذكرين ذلك اليوم ؟ :

منذ خمسة عشر عاما ... عندما طرقت باب دارها في وقت السحر وصحت بأعلى صوتي :

ـ زبـالة ؟

ولم يكن في البيت سواها وامهـا فقالت هي بصوت مرتفع :

ـ (زباله يامـه) ؟

فأجابت أمها :

ـ احمليها اليه يا بهية ... وقولي له ان يعيد « الكردل » من شق الباب بعد تفريغه .

ـ (طيب يامـه) .

واطلت علي من خلف المصراع بثوب مهلهل .. من باب مهلهل .. في حي مهلهل ، واستأنفت تخاطبني بصوت رفيع مخفوض :

ـ خذ . ولا تنس ان تعيد (الكردل) من شق البـاب .

وأحسست بجفاف عبارتها ، فقلت لها بجفاف :

ـ ولما لا تنتظرين وتأخذينه ؟ .. أهو واجب على ان أفعل ؟! .

قالت كأنها تعتذر :

ـ طيب ... سأنتظر . (وافترت شفتاها عن ابتسامة ناعسة كسولة) .

ضربت « الكردل » في صندوق العربة بعصبية وهززته مرتين كي يسقط ما بداخله فعبقت في أنفي رائحة عفن كريهة ، والتفت اليها وانا أتأفف من نفسي فاذا بها صامتة تطرف ببلاهة ... قلت :

ـ تفضلي ياسيدتي ؟ ... هاهو « كردلك »؟.. هل هو سليم ؟ .. تفحصيه قبـل ان امشـي . (واستدرت في مكاني بغضب ونهرت الحصان بقوة وهممت بالمسير ، فاذا بها تستطرد) :

ـ مع السلامة .

وتطلعت اليها وقد تلاشى كل ما يعروني من غضب ونفور فألفيتها تبتسم .. ابتسامة واسعة ... فأردفت مخاطبا :

ـ شكرا يا (ست) . وابتسمت ثم غادرت، تناهبني ـ منذ تحركي ـ في الطريق شعور جديد غريب لم اشعر به من ذي قبل .. واحسست، في جسمي ، نشوة تعروني كالمخدر الخفيف فتراقصت عروقي من الجذور ، وصعد الدم الى وجهي بحرارة ، وقد طفق من جبيني عرق بارد تضمخ بغبار وجهي الكثيف المتعفن .

وبدا لي جميلا ان أسائل نفسي وان اجيبها في آن واحد على كل مايدور بخلدي :

هل احبتني يا ترى ؟

وتابعت احدث نفسي :

ـ هل احبتك يا محسن ؟ .. هـا ؟ .. هل احبتـك ؟ .

فسمعت همسات نفسي تنطوي في داخلي :

ـ هه !! .. ايها الغبي ! ... تحب من ؟ ... أتحب كناسا تفوح من اردانه وجسمه رائحة كريهة قاتلة ؟! ... رائحة العفن والقاذورات ؟! ... نحن منبوذون في نظر هذا المجتمع ... انجاس كالكلاب. ... لا أحد يقربنا ... ينظرون الينا بأعين مغضوضة محتقرة ... هل تسمع ؟ ... نحن ادنى من الكلاب.

ـ ولكنها فقيرة مثلي ؟ .. الم تر حالتها ؟ .. انها مهلهلة الكيان ... مشعثة الشعر ... عتيقة الملابس ... ألم ترها ؟! ... انها مثلي !! .

ـ وان يكن ... انها تراك مجرد « زبال » ... لا أكثر ولا أقل ... حتى وان كنت من الاثرياء !!.

ـ أف ... (ولفظت انفاسي بقهر)

ـ لا تجزع ايها الفتى ... ابحث لك عن واحدة أدنى منها طبقة ؟ ...

ـ وأين أجد أدنى منها ؟! ... انها ادنى طبقة بشريـة .

ـ كلا ... كثيرات من هن ادنى منها ... ابنة « زبال » مثلك مثلا ... ابنة انسان مهنته احقـر من مهنتك .. كثيرات ! ... كثيرات ! ..

ـ ولم لا تكون هي ؟ ... لقد ابتسمت لي دون ان ابتسم ... ألم ترها ؟ .. لقد ابتسمت ابتسامة

واسعة بلهاء .. حقا ؟!.. وماشأنك انت ايتهاالنفس الحقيرة ؟! ... ماشأنك ؟ .. ها ؟ .. اخرسي ؟.. اخرسي ! .

وتغيرت ملامحي وعراني شعور جديد :

« لاشك انها احبتني ! ... حبا عظيما جارفا !.. كالطوفان في منحدر ! .. ولكن ؟! .. ما اسمها ؟.. صحيح .. آ .. اسمها بهية .. بهية ؟! .... ما أجمل هذا الاسم ! .. لم أسمع اجمل منه ابدا ! .. سأراك صبح غد يا بهية ... عندما آتي لآخذ « الزبالة » .. سأطرق بابكم واصيح بصوت أعلى من (صوت اليوم) .. أعلى .. أعلى ! ..

***

وعندما انزويت في فراشي تلك الليلة احسست كأن نفسي ظمأى ملتهبة ... تتحرق شوقا لها . ودأبت أفكر تحت الغطاء على غير عادة كأنما تملكني هاجس مشوق : بهية ؟ .. يا سلام !! ..(وانعكست على بطني ببطء ، وجذبت وسادتي الى صدري بقوة ثم لفظت نفسي بتأوه) .. آه ! .. يالوجهك الفاتن ! ... يالصدرك الناهد وقوامك المسبل كالشموع ! ... آه ! .. يا لكل شيء فيك ! .. ماجملك !.. ياحبيبتي ! ..

(وضغطت على الوسادة اكثر من ذي قبل وشددتها الى بطني وقد دنوت بثغري منها كأنها ثغر بهيـة) :

حبيبتي يا بهية ... الا تتزوجيني ؟ .. انني احبك ؟ .. اعبدك ؟ .. تكلمي يابهية ؟ .. دعي هذا الطيف ينطق ؟ .. انطق ايها الطيف ؟ ... (وضغطت على الوسادة اكثر فأكثر فخيل الي أنني اسمع نبرات صوتها تهمس بي) :

ـ لا يا محسن ... لا استطيع .

ـ لا تستطيعين ؟! .. لم يابهيـة ؟! .. هل لا اعجبك ؟ .. ام لانني فقير جدا .. ثم انت فقيرة مثلي ؟! .. وكلانا من طبقة واحـدة ؟ .. فقـير تزوج فقيرة ، وتم كل شيء بحمد الله ، اليس كذلك؟. أم ان الفقر انواع ايضا ؟ .. ومن أي نوع انت ؟ .. هل «نوعك» اثمن من نوعي ؟ .. ام ان «نوعي»رخيص لانني «زبـال» ؟ .. كذلك يابهيـة ؟ .. ألأنني « زبـال » ؟!

وأحسست بانقباض وتملكني هاجس كمن يتملكه تيار هستيري ... وشعرت بصراع «نفسي» يتهدج في داخلي :

ـ ألم أقل لـك انك منبوذ دنس ... ادنى من الكلاب ؟ . انـك « زبال » يـا محسن ... انـك «زبال» ! ... لم لا تكف عن ذلـك ؟ .

فاجبتها بشراسة :

ـ وما شأنك انت ؟ . (ودققت الارض بقبضـة يدي وصرخت) : وما شأنـك ؟ . (ثم اخذت اتلمس بيدي ظاهر الوسادة واضمها الى صدري واردد بارتخاء) : حبيبتي يا بهية ..

***

قمت في الصباح التالي وقد تجمعت في نفسي عزيمة عجلى ، فغسلت وجهي وتناولت فطوري ، وخرجت الى الشارع نشيطا استعجلُ حصاني بالمسير .

وعندما مثلت امام البيت تكاثفت في نفسي شجاعة ثابتة فطرقت الباب وصحت بصوت عال جـدا :

ـ زبالـة ؟

وتريثت قليلا فسمعت صوتها يأتي الي كالنغم الرفيع :

ـ (زبالة يا مـه) ؟

ـ احمليها اليه يابهية .. وقولي له ان يعيد « الكردل » من شق الباب .

ـ طيب .

وحالما انشق الباب ألفيتها امامي بكامل جسمها ... أوه ... يا لهذا الجسم الذي شغلني بالامس واضناني طيفه طول الليل ... انه يقف امامي والشعر فيه مصفف والوجه نظيف منير ، والثوب مكوي جميل .. وفي القسمات بشاشة وابتسام علىنقيض البارحة ... قلت :

ـ صباح الخير يا (ست) .

قالت بعد ان تبسمت :

ـ صباح الخير .. تفضل ؟ .

وناولتني «الكردل» فقذفته الى العربة وهززته

ثم اعدته اليها :

ــ تفضلي ياست بهية ؟

فارتبكت وسألتني باستغراب :

ــ هل تعرفني ؟

قلت :

ــ كلا . بل سمعت امك تناديك بالامس . (فهدأت قليلا وعادت تبتسم ، ثم تابعت انا بجرأة) :

ــ وأنا محسن . ثم هممت وأكملت مسرعـا بصوت مرتفع كي أغطي على عبارتي السابقة :

ــ ها هو «كردلك» ؟ ... هل هو سليم ؟ ... تفحصيه قبل ان امشي ؟

(فضحكنا معـا) .

وبدأت نسمات العشق تداعب أغشية القلوب فتفتحت في خلاياي منافذ جلدية تسربت منها روائح العفن والاوساخ . وشعرت كأن في كياني جـدولا من السعادة ، ينساب غزيرا متدفقا يروي جـذور نفسي فتفتحت من جرائه البراعم .

وكما ان في انفس الناس مذاقات ومشارب فقد استقر في نفسي مذاق لا يوصف وشهية لاتقنع ، لان حب النفس في تلقيح النفس بالحب يفسح بين القلبين المتحابين مجالا للتفاهم والرضا . ومع انسياب هذا الحب في عالم الناس كنت ــ انـا ــ محظوظـا بأكبر قدر منه ... ذلك لانني تلمست في محاسن بهيـة نوع معدنها ، فألفيته اصيلا لا يبوخ .

سنتان في هذا الحب تمضيان ونحن ننعم في اتم سعادة ... لا يشوب جونـا شـائب ... ولا يعكره معكر ... وكـلانا متفاهم مع حبيبه نشوان ، كأنـه في نعيم الابدية .

وفي ذات صبح ربيعي جميل وقفت مع نفسي هنيهة استعرض وافكر ... وجعلت محور استعراضي ــ وتفكيري ــ يدور داخليا بحيث لا يتعدى مضمون معرفتي ببهية . وعندما وصلت الى النتيجة التي ارتضيها اخذت طريقي الى بيتها ووجهي متهلل مسرور وفي عروقي سعادة تمشي .

قلت لها :

ــ انتهى يابهية .

قالت :

ــ مـاذا ؟

قلت :

ــ سنتزوج !! . (فلم تتمالك نفسها واستطردت بعد ان عرتها موجـة من الفرح) :

ــ حقا يا محسن ؟!

ــ انني لا أمزح ... دعيني احدث أمـك ؟

***

آه ... خمسة عشر عاما انقضين وكأنهن غاديات الصباح ... لم يتركن في نفسي سوى ذكريات تلك «المرحلة» التي كللتني فيها السعادة بأكليل من زهور فخيل الي انني اعيش في أضاة من السعادة ... تلك هي مرحلة الحب منذ البداية .

وافقت من لهوتي فتشربت نفسي نفس الرائحـة الكريهة ، فلثمت وجهي بمنديلي وتأففت بقرف شنيع: ربي خلصني من هذه الزبالة ؟

***

عرجت على السوق عندمـا انتهيت مـن عملي فاشتريت حزمـة مـن « الجرجير » وأقتين مـن الفسيخ وعدة ارغفة لكي اسد بها أود خمسة اشخاص: رجل وزوجة واولاد ثلاثة ... عاشوا جميعهم على الكفاف من عهد الطفولة .

على ان خاطرا حكني اثناء سيري ومفهومه يقضى بأن اتفاهم مع هذه الزوجة على سبب غضبتها ... لماذا اصبحت تنفر مني ولماذا اصبحت تثور ؟ ... هذا ما لست اعرفه على الوجه الاصح ، سوى تلـك المناقشات التي كانت تدور حـول رغبتها في تركـي عملي والبحث عن عمل آخر . فكثيرا ما كانت تحثني قائلة :

ــ اترك هذه المهنة يا محسن ... ألم تسـأم هذه الروائح كأنك اعتدت عليها ... عشرون عامـا ليست بالقليلة يا محسن ؟! .

على انني كنت اجيبها بكسل وعدم اكتراث :

ــ سأبحث يا بهية . (وننسى الموضوع)

وقد خالجني شعور كبير بأن اطلقها ... ولاحت لي بنود الحرية تخفق في الافق كأنها تنادي كـل مكبوت مثلي ...

طالما انها اصبحت تكرهني بعد عشرة خمسة عشر عامـا ...

ولم لا ؟ ...

أأنا عبد لها أم زوج ؟ ... دعني اتذوق طعم حياة العزوبة قليلا ؟ .. دعني !!

ولكن ؟! ... (وتسمرت في مكاني قليلا) ... ووليد ؟ ... وهشام ؟ ... ومنصور ؟ ... هؤلاء الابرياء ؟! ... ما ذنبهم ؟ ... وكيف يعيشون بـلا أم ؟... وكيف استطيع تدبير امورهم ؟ .. لا لا .. سأتفاهم معها بالتي هي احسن ... سأقنعها بمـا هي ثائرة من اجله ... سأقنعها !! .

وعندما بلغت الباب طرقته ففتحته هي :

ـ مرحبا يا بهيـة ؟

فأجابت بنبرات عادية :

ـ مرحبا يا محسن . ودخلت .

* * *

تملكني ـ بعد الغداء ـ دافع بأن ابسط الموضوع وابحث كل معضلة فيه ، فدعوت بهية وقلت لها قولا واضحا ، ليس فيـه اعوجاج :

ـ دعينا نتفاهم يا عزيزتي ... ما لي اراك غاضبة دائما ؟ ... هل ثمة شيء بغيض حدث ؟ ... أم انني اغضبتك في شيء ؟ .

فتغيرت ملامحها ، ورأيت في وجهها آثار ضيق قديم مكبوت ثم بانت على شفتيها دلائل كلمات بدأت تتعثر :

ـ الم تسأم هذا العمل القذر يا محسن ... عشرون عاما وانت فيه !! ... عشرون عاما ! . . . ابحث لك عن عمل نظيف نستطيع ان نعتاش منـه واترك قاذورات الناس وروائحهم العفنة التي تأتيني مضروبا بها في كل نهار ... كأنك مجبر على ذلك ؟

قلت بعد ان هززت رأسي :

ـ ألست مجبرا يا بهية ؟ ...

فقاطعتني وقالت :

ـ ألم يقل لك جارنا عزت انه مستعد لايجاد عمل لك عند « بائع الالبان » ؟ ... من الاحسن لـك والاطيب ؟ ... رائحة اللبن ام رائحة الزبالة ؟

قلت مطرقا وفي نفسي سخرية :

ـ رائحة اللبن يا عزيزتي ... هل تريدينني ان آتيك مضروبا بها ؟

ـ أليست افضل من رائحة الزبالة ؟

ـ بلى ! .. اتفقنا يا عزيزتي ... منذ صباح الغد سأرى جارنا «عزت» .

فلمحت في اساريرها انفراجا ودلائل اغتباط .

* * *

رأيت من المستحسن في الصباح ان آخذ طريقي نحو جارنا عزت . فلما دققت الباب خرج علي مرتديا ثوبا طويلا فضفاضا وفي عينيه آثار «قذى» من بقايا نوم عميق استغله طول الليل ... فلما رآني حياني وقال :

ـ اهلا بك يا محسن ... تفضل ؟ ... خير انشاء الله ؟!

قلت :

ـ حفظك الله ... اريد ان أمشي ... جئتك بخصوص موضع قديم !

قـال :

ـ خير ... ما هو ؟

قلت :

ـ العمل الذي وجدته لي قبل مدة ... هل لا زال شاغرا ؟

فتحرك في موضعه وابتسم ابتسامة كسولة واستطرد :

ـ هل راجعت عقلك ؟!

ـ اجل يا جار .

ـ اذن سأعود الى بائع «الالبان» مرة اخرى واحدثه ... انه صديقي وآمل ان لايرفض طلبي .. مر علي صباح الغد سأكون حاملا لك الجواب ...

قلت :

ـ ألف شكر يا جار .

قـال :

ـ مع السلامة ..

ذهبت الى عملي وقد عراني خاطر هستيري ،

واخذ يتضارب في مخي تفكير مبعثر فاستطردت احدث نفسي :

– فتح جديد في عالمك يا محسن ورقي من الله لم تحلم به من قبل !! ... كنت «زبالا» فأصبحت « لبانا » ... أليست هذه هي السعادة بأكملها ؟.. أعني أليست هذه أمنية زوجتك ؟! .. أليست هي؟.. بماذا ستشعر عندما تعلم بأنني سأعمل عند « بائع الالبان » ؟ ... انها ، لا شك ، ستطير فرحا !! . وقهقهت بصوت عال ذي نغم ، فمخرت في أنفي رائحة الوسخ ، واعتراني انقباض سريع فتأففت وتمتمت بقرف : ربي خلصني من هذه الزبالة ؟ .

***

حدثت «بهية» في أخريات النهار عما جرى بيني وبين جارنا عزت فألفيت في قسماتها اشراقة لم ارها منذ عهد بعيد ، ولمست في نبراتها عذوبة عدمتها منذ زمان . وبان لي في طرفها حركات اخذت تتعثر ، فقالت لي وشفتاها تتلعثمان :

– فرجت يا محسن ! ... لقد اصبحت شخصا آخر كأنك خلقت من جديد . فأنت منذ الغد محسن « اللبان » لا محسن « الزبال » ... الست مسرورا ؟! .

قلت :

– بل جد مسرور !

قالت :

– آه يا محسن ، يا حبيبي ... كم انا سعيدة !! ... انني احبك . (واقتربت مني)

فقلت في نفسي :

– عجبا له من حب ، هذا الذي يهبط ويرتفع حسب الظروف ، ولا يأتي الا مواسم مواسم ... ليت كل حياتي تغيير وظائف ؟! . (وزحفت نحوها ثم ضممتها الي بشوق)

نهضت في الصباح مرتخيا وفي نفسي بقايا حب للنوم لم تزل بعد ... ذلك لانني قضيت مع بهية ليلة اعتبرتها واحدة من اجمل ليالي الشباب !!

« ما اسعد الانسان طالما لا يشعر بوجوده في هذا العالم . لان في شعوره بالوجود تتسبب المشكلات وتتزاحم في رأسه الافكار والهموم ... كذلك كنت مع بهية ... غائبا في عالم لايشغله سواي ، ولا يزاحمني فيه احد » . وعندما خرجت من البيت سمعت صوتها ناعما ممطوطا يتبعني : مع الف سلامة ...

ووقفت على عتبة بيت «عزت» وطرقته بلطف ثم انتحيت جانبا فخرج الي بنفس جلبابه وفي ملامحه اغتباط وسرور . قلت بادئا :

– صباح الخير

قال :

– صباح الخير

– خير انشاء الله يا جار ؟

– خير يا محسن ... انه لا يزال بحاجتك ... تفضل لبينما البس ثيابي ونذهب سوية .

قلت :

– لا بأس ... سأنتظر لبينما تنتهي ..

وعندما انتهى سلكنا الطريق معا الى مقر « بائع الالبان » .

هو « محل » يقع في منتصف السوق تقريبا... ليس بالكبير الواسع ... ولا بالصغير الضيق .. فيه اعتدال لكنه مزدحم بالاوعية و « المغارف » .. تفوح منه رائحة الحليب البكر واللبن (الرايب) ... وعلقت على بابه لافتة كتب عليها اسم «المحل» باسم صاحبه زيادة في الشهرة والعظمة ... « عبد المقصود » .

وهو رجل بدين قصير غير متساو ... يتقدمه كرش عريض مترهل . ويمتاز بعرض في الاسفل وضيق في الاعلى فيتراءى لك ، عن بعد ، او قرب ، كحبة الآجاص ... وله عينان واسعتان اكثر من لزوم حجمه ، يلونهما لون اسود فاحم . واذا ماصدف لك ونظرت فيهما خيل اليك انك تنظر في هوتين مظلمتين . تفوح منه رائحة اللبن والحليب وفيها نتانة كما تفوح رائحة « الزنخة » من بائعي الاسماك .

وقفت امامه – بعد ان صافحته – صامتا ، واخذت انصت الى عزت الذي تعهد بالحديث عني ، قال :

– هاهو محسن الذي حدثتك عنه يا معلم « عبد المقصود » ...

فاستدار نحوي ودقق النظر في كما يدقق المحقق في قضية خطرة ، قال :

ـ لقد حدثني عنك عزت منذ زمن بعيد ، وطالما انني بحاجة الى شاب يعمل فى هذا «المحل» ، فلا مانع لدي لو شغلت انت هذا المنصب . (واوشك ان يسكت غير انه سارع متابعا) :

ـ كم كنت تأخذ في «البلدية» ؟

قلت :

ـ ست جنيهات ...

قال :

ـ سأعطيك نفس الراتب ، والزيادة حسب الكفاءة .

فقلت في نفسي :

ـ يالها من كفاءة ، هذه الذي تأتي من بيع اللبن والحليب . (ثم استطردت قائلا على مسمعه بصوت خفيض) .

ـ موافق ...

ـ اذن متى تبدأ العمل ؟

ـ اعطني مهلة يومين أصفي خلالهما حسابي في دائرة «البلدية» ...

* * *

بدات عملي في «المحل» بنشاط رأيته جديدا علي ... واخذت ابذل من طاقتي مجهودا كبيرا لكي أرضي المعلم عبد المقصود .

على ان مهمة عملي كانت عبارة عن ان اجوب الشوارع في الصباح على دراجة هوائية ثم اطرق بعض البيوت لكي ألبي لهم طلبا من لبن او حليب . اما في المساء فقد كانت وظيفتي تستوجبني ان اغسل أوعية اللبن الفخارية تأهبا لمقدم الصباح التالي .

« اتدري ؟ .. »

رغم كل ما كنت احرزه من تعب يخيل الي ان زوجتي كانت على حق ... فقد لمست في اللبن والحليب رائحة زكية ، وان لم تكن بالزكية جدا غير انها كانت تعطي على الاقل نكهة من احدى نكهات مخلوقات هذا العالم الذي يزدحم بها .

شتان ما بين « اللبن » و « الزبالة » !! . . . ان رائحة الاخير تمخر في انفك وكأنها «نشادر» عطن ، فتخدر من جرائه عروقك ، عند ذلك تتأفف وتشتم وتبصق ، وتتمنى لو لم تكن « زبالا » .

* * *

مضى علي عند المعلم عبد المقصود شهر كامل اخذت المعاملة تتغير بالنسبة لي . فقد اصبح يصرخ في وجهي احيانا ويتمتم بكلمات غير مفهومة احيانا اخرى فيما لو لم اعجبه في عمل ما . وقد حدث مرة ان وقع من بين يدي وعاء فخاري فانكسر ... واذا به يصيح علي بلهجة محتدة ويقول :

ـ كيف كسرت الوعاء ؟

قلت :

ـ وقع فانكسر ..

قال :

ـ هل يداك مرتخيتان ؟

قلت :

ـ انها اول مرة يا معلم عبد المقصود .

ـ وآخر مرة . اذا حدث ذلك مرة اخرى ستفصل ، مفهوم ؟ .

ـ . . . . . .

واستدرت من امامه ، فسمعت منه تمتمة بغيضة ... وازداد حنقي فعراني غضب وعبوس ، وجالت بخاطري صورة زوجتي « بهية » تفتر شفتاها عن ابتسامة شاحبة فقلت :

ـ هل سررت الآن يا بهية ، انني ازيد عنه عمرا ويوبخني . يا لها من حياة مقرفة . (وذهبت الى عملي)

* * *

ها أنا أقف على ابواب الشهر السابع في عملي وقد سقط من بين يدي وعاء آخر فانكسر . وها انا اقف بين يدي المعلم عبد المقصود كالذليل ارجو منه الصفح مرة اخرى :

ـ ارجوك يا معلم عبد المقصود . لقد وقع رغم

ـني ... بن اعيدها مرة اخرى ؟

فاستطرد بعصبية وشدة :

ـ انك متهور يا اخي !! ... أأنا فاتح دكـاني لتكسر ما بداخلها ؟! ... انني اعتاش مثلك ؟!.

ـ صحيح يا معلم ... ارجوك ، هذه آخر مرة ؟ فازداد صوته ارتفاعا :

ـ ترجو ماذا ؟ ... انك تقضي علي هكذا ... تفضل معي . (واخذ يتمتم كعادته)

واتجه نحو الداخل ، ومد يده الى درج في الطاولة فاعتراني خوف وهبطت عزيمتي فحاولت ان اتوسل اليه غير انه ردني منكوسا وقال بعصبية :

ـ تفضل ، هذا حسابك . مع السلامة .

ـ . . . . . ؟ ؟

ـ مع السـلامة .

وعندما خرجت من «المحل» اخذ يتناهبني تفكير غريب يسوده احساس بالذل ، فلم استطع ان امنع دمعة اخذت تنساب من مقلتي .

وعدت استعرض في خاطري صورة بهية فتراءت لي مرة اخرى تفتر شفتاها عن ابتسامة شاحبة ... فخيل الي انها تشمت : لولاك ايتها الغادرة لما تركت عملي في البلدية واتيت الى هـذا العمل المؤقت . وخالجتني ثمة كلمة اخذت تتردد في ذهني بقـوة وكـادت تتخلص من بين شـفتي تريد الانطلاق : « طـلاق » ...

واخذت جانب الطريق ، فأحسست كأن كـل شيء يبتسم ساخرا ، وقـد استقر في نفسي ندم على ما بدر مني عندما اقدمت على تركي مهنـة « الزبالـة » ، وراودتني عبارة في نفسي تقول : ليتني بقيت « زبالا » ...

الكويت ـ محمود الخطيب

معرفة الامام في الادب الفاطمي

بقلم : الدكتور محمد حاج حسين

لايتم ايمان الانسان حتى يعرف الامام . وفي رأي الاسماعيلية ان الجاهلية جاهليتان : جاهلية كفر ، وجاهلية ضلال . اما جاهلية الكفر ، فكانت قبل النبي ، واما جاهلية الضلال ، فهي التي عليها من لا يؤمن بالامام . يقول ابن هانيء الاندلسي شاعر المعز لدين الله :

وكانوا وكانت فترة جاهلية

فقد نهج الله السبيل واوضحا

والناس كانوا اهل فترة كفترة الجاهلية حتى سن الله لهم سبل الهداية بوجود الامام الذي لا نجاة من الضلال الا باتباعه لان الايمان لايتم الا بمعرفته . يقول جعفر بن منصور اليمني ، وهو باب الابواب في دعوة المعز لدين الله الفاطمي « من مات وهو لا يعرف امام زمانه يعني معرفة تصديق به ، ودخوله في دعوته مات ميتة جاهلية . والجاهل لا ينظر له في عمل ، وقد يستجيب لدعوة ولي الزمان المستجيب ، ويدخل في دعوته ، ويأتيه الموت قبل ان يدخل عليه وقت صلاته ، فيكون من اهل الجنة اذا اخلص الولاية ، وان لم يصل اذ لم تجب عليه صلاة بعد . ولكنه قد امر بها ، واخذ عليه في ان يقيمها ، وهو لو صلى طول عمره الصلاة الظاهرة ، ولم يوال ولي زمانه لم تنفعه صلاته لانه لاينظر اليه في عمل » (١)

وهكذا لا يتم الايمان الا بالتصديق بالامام ، واتباع هداه ، والاستجابة لدعوته ، ولهذا قال ابن هانيء الاندلسي :

واشهد أن الدين انت مناره

وعروته الوثقى التي لم تفصم

فالامام هو منار الدين ، وعروته الوثقى ، ولا يتم الايمان الا باتباع تعاليمه «لان من يتبع غيرهم - الائمة - يضل عن السبيل» (٢) ولا يكمل امر الدين الا باتباع امر الله ، بمعرفة الناطق والامام لان « الدين عند الله الاسلام ، يعني ان كمال الدين التسليم والنية الخالصة ، واليقين لامر الله مع كل من اقامه الله به من ناطق بعد ناطق ، ووصي بعد وصى ، وامام بعد امام (٣) فالصلاة والصيام وسائر الفروض الدينية لا تقبل من المؤمن الا اذا عرف امام زمانه بنية خالصة ، وتسليم مطلق . وقد قرنوا الايمان بالامام بالايمان بالله تعالى . وفسروا قوله تعالى : « آمنا بالله واليوم الآخر » بأن اليوم الآخر هو المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه » (٤) الذي ينقذ الناس من العماية ويهديهم سواء السبيل . يقول ابن هانيء :

وكان منقذ نفسي من عمايتها

فقلت فيه بعلم لا بتقليد

ما أجزل الله ذخري قبل رؤيته

وبينات وتوفيق وتسديد

ولا انتفعت بايمان وتوحيد

هادي رشاد وبرهان وموعظة

---

(١) - الشواهد والبيان : - مخطوط بدار الكتب المصرية -

(٢) - جعفر منصور اليمني : الكشف ٤٥

(٣) - جعفر بن منصور اليمني : الكشف ٧٣

(٤) - جعفر بن منصور اليمني : الكشف ٣٩

فالشاعر لم ينتفع بايمانه قبل معرفة الامام ، والدخول في دعوته والتسليم له بنية خالصة لان الامام برهان موعظة ، وهاد الى الرشاد ودليل الى الله الذي يغفر كل شيء حاشا الجهل بالامام . وقد اولوا قوله قوله تعالى : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » بقولهم : « يقولون في هذا انه هو الشرك ، وليس هو كما يقولون . وانما الاشراك في هذا الموضع ان يشرك بولاية امير المؤمنين ، ومن نصبه الله وليا واماما » فيجعل معه غيره ، ويجحد بولايته ، فيضل ضلالا بعيدا . (١) ويقول ابن هانيء :

ليعرفك من انت منجاته
اذا ما اتقى الله حق التقى
كأن الهدى لم يكن كائنا
الى ان دعيت معز الهدى

ويقول جعفر بن منصور اليمني : « اول ما يحتاج اليه المؤمن من امر دينه ، ومعرفة الحق واهله الامامه لله ولاوليائه لقول الله عز وجل : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ، فأبين ان يحملنها واشفقن منها ، وحملها الانسان . انه كان ظلوما جهولا » (٢) . ويقول ابن هانيء :

من يهتدي دون المعز خليفة
ان الهداية دونه تضليل
من يشهد القرآن فيه بفضله
وتصدق التوراة والانجيل

فالهداية لا تكون الا بمعرفة الولاية . يقول النعمان قاضي قضاة المعز لدين الله : « اول دعائم الاسلام معرفة امام الزمان ، والتصديق به ، والتسليم لامره » (٣) واول قوله تعالى : « انما انت منذر ولكل قوم هاد » بأن « المنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله . وفي كل زمان امام يهديهم الى ماجاء به رسول الله . فأول الهداة بعده علي بن ابي طالب ، ثم الائمة من بعده عليهم أفضل السلام وأحدا بعد واحد » (٤) ويقول ابن هانيء :

الله يقبل نسكنا عنا بما
يرضيك من هدي وانت معين

ورووا أحاديث عن النبي في هذا المعنى ، من مثل قوله : « أوصي من آمن بالله ، وصدقني بولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، فان ولاءه ولائي . أمرني به ربي ، وعهد عهده الي ، وامرني ان أبلغكموه عنه » (٥)

ويقول ابن هانيء :

فرضان من صوم وشكر خليفة
هذا بهذا عندنا مقرون .

ولهذا عندما استتر الامام « اجتمع هؤلاء النفر الدعاة ــ قالوا : قد فقدنا امامنا ، ولا صلاة لنا ، ولا صوم الا بامام ، ولا نعرف من نعطي زكاتنا » (٦) فالامام هو الصلة بين الله والناس . يقول ابن هانيء :

انا استلمنا ركنكم ودنوتم
حتى استلمتم عرشه المحمولا
فوصلتم ما بيننا وامدكم
برهانه سببا به موصولا

فالامام هو الوسيلة الى الله . ويقول ابن هانيء :

اذا انت لم تعدم رضاه الذي به
يفوز بنو الدنيا فلست بمعدم

فرضا الامام هو غاية كل مؤمن ليطهر نفسه ، وتزنو روحه ، ويصل الى معرفه الله لان « من لم يعتقد ولايه امام زمانه لم ينفعه قول ولا عمل ، ولم يصح له طاهر وباطن »

ويقول ابن هانيء :

وسألت رب البيت بابن نبيه
وجعلتك الزلفى اليه فازلفا

وقد فسروا قوله تعالى : « ولما طغى الماء حملناكم في الجارية » بقولهم : « يعني لما ملك الظلمة بعد علي بن ابي طالب صلوات الله عليه ، وغلبوا وطغوا اغروا الناس في ظلمة الجهل ، وفي الماء الذي كالمهل حمل الله المؤمنين والمصدقين في الجارية يعني السفينة في الظاهر ، ويعني سنته في الباطن الجارية في آل

---

(١) ــ الكشف ٣٩
(٢) ــ الكشف ٢
(٣) ــ دعائم الاسلام ٥
(٤) ــ دعائم الاسلام ٢٨
(٥) ــ دعائم الاسلام ٩
(٦) ــ استتار الامام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه .

محمد بالامامة والوصية واحدا بعد واحد . فمن تبعهم وتمسك بهم نجا ، وان أسر ذلك بقي في عصر الظلمة لانه نصر الحق عليهم على ظاهر الدين . وسنة الله جارية بباطن حقه في الائمة الصفوة الذين اختارهم الله ، واقامهم حججا على خلقه ، فأشار الى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام . انما مثل محمد ومن اتبع نوحا وركب معه في سفينته نجا ، وغرق من كذبه وتخلف عنه : كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول لاصحابه غير مرة : مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه .. من تمسك بهم نجا ، ومن تخلف عنهم غرق وهلك كما غرق وهلك من لم يتمسك بسفينة نوح من قومه ، فانما عني بأهل بيته اهل مقامه من آله (1) .

وواضح ان ابن هانيء الاندلسي شاعر المعز لدين الله قد استوعب هذه التعاليم ، فقد اقام الله الائمه للقيام بأمر دينه (2) فمن تعلق بهم نجا ، ومن انصرف عنهم هلك :

لو لم تكن سبب النجاة لاهلها
لم يغن ايمان العباد فتيلا

ويقول جعفر بن منصور اليمني : « اذا لم تعرفوا وجوه سبل الله ، وباب رحمته وامام زمانه ، وابوابه وعلمه كانت عبادتكم في ركوعكم وسجودكم غير مقبولة ، فلا تنفعكم »(3) وبالغوا في الامام حتى قالوا انه الدليل على وجود الله لانه حجته « ففي كل عصر حجة لله من نبي ومرسل وامام منتخب »(4) وجعلوا معرفة حدود فرائض الاسلام « هي معرفة الائمة القائمين بهذا الدين الذي جعلهم الله المظهرين لاعجازه والمطنبين في بيان ايجازه ، والمجاهدين على اظهاره واعزازه »(5) والامام « في كل عصر وزمان الواحد المؤيد من قبل الله ، وان كل من جعل له ندا وعديلا ، فقد اشرك كشركه بالله العظيم »(6) ويقول علي زين العابدين « ولم تخل الارض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور ، او غائب مستور ، ولا نخلو ان تقوم الساعة من حجة لله فيها . ولولا ذلك لم يعبد الله » .

ويقول ابن هانيء :

والله مدلول عليه بصنعه
فينا وأنت على الدليل دليل

وفي هذه العقيدة يقول الداعي شهاب الدين ابي فراس : « واعلم بأن الامام الموجود للانام لا يخلو منه مكان ، ولا يحوزه مكان لانه الهي الذات سرمدي الحياة . ولو لم يتأنس الى معرفته بالحدود والصفات لما كان للخلق الى معرفته وصول »(7)

ويقول ابن هانيء :

لو لم يكن فيك اعتبار للورى
ضلوا فلم يكن الدليل دليلا

فلولا وجود الامام لضل العقل ، ولم يجده التفكير .

ويقول :

لولاك لم يكن التفكر واعظا
والعقل رشدا والقياس دليلا

فقد اختار الله الامام مرشدا اليه ، وهاديا الى دينه . واولوا قوله تعالى : « أرأيت الذي يكذب بالدين ذلك هو الذي يدع اليتيم » بقولهم : « الذي يكذب بدين الله هو الذي يدفع الامام عن مقامه لان مقام الامام هو قوام الدين ، وعبادة المؤمنين ، ولا امام الا من اختاره الله لدينه والهداية بأمره »(8) فمن جهل الامام باء بغضب من الله شديد ، واستحق لعنة الامام ولعنته لاتخطيء من قصدته ، ولا ينجو من اصابته

---

(1) ـ جعفر بن منصور اليمني : الشواهد والبيان ورقة 149
(2) ـ القاضي النعمان : المجالس والمسايرات . مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة .
(3) ـ الشواهد والبيان ورقة 41
(4) ـ الكشف 12
(5) ـ المجالس المستنصرية 38
(6) ـ القاضي النعمان : الرسالة المذهبة 39
(7) ـ مطالع الشموس في معرفة النفوس 17
(8) ـ الكشف 5

ولا والله ما يرسلها اولياء الله ألا على مستحقيها بعد ان لا يروا له محيصا ، ولا يجدوا له بدا منها » (١)

ومن الفروض التي ينبغي ان يؤديها المؤمنـــون الحج . وله معنى خاص عند الاسماعيلية .. اذ عندهم ان الحج في الظاهر اقامة مناسكه المعروفة . امـا حقيقته فتقوم على زيارة الامام (٢) . يقول ابن هانيء :

شهدت لاهـل البيت ان لا مشاعر
اذا لم يـكن منهم وان لا مناسـك

فمشاعر الحج لا تتم الا بمعرفة الامام لان « ظاهر الحج الاتيان الى البيت العتيق بمكة لقضاء المناسـك عنده وتعظيمه . وتأويل ذلك الذي جعل الظاهر دليلا عليه اتيان امام الزمان من كان من نبي او امام »(٣) .

ويقول ابن هانيء :

حجت بنا حرم الامـام نجائب
ترمي اليـه بنا السهوب الفيحا
فتمسحت لم به شعث وقـد
جئنا نقبـل ركنـه المسوحا

لقد ذهبت به الى حرم الامام نجائب كرام تقطـع الفلوات ، وتتحمل المشاق ليتبرك به . وهـو يعتبر زيارته للامام الحج الصحيح ، فيقبل ركنه الممسوح لانه الاصل في هذه الفريضة الدينية كما قال المؤيـد داعي الدعاة في تائيتـه :

هلم الى الارض المقدسـة التي
بساحتها سكانها أمنـوا الموتا(٤)

الى علـم الايمان والقبلـة التي
عليها بلا مسـك دللت ووجهتا

وميزان رب العالمين الـذي بـه
توفى الثواب الجزل ان انت وفيتا

ويقول جعفر بن منصور اليمني : « والحج على وجهين : احدهما الهجرة من وطنك الى وطن الرسـول في عصره ، او الى وطن الامام في عصره مـع معرفة قلبـك ، ويتزكى سعيك ، وينجلي عنك شكك ، والوجه الثاني في الباطن . فهو معرفة الامام صلوات الله عليه في كل عصر وزمان الناطق بالحكمة ، الظاهر بالشرف والدعوة ، صاحب الشرائع وخاتمها ومترجمها. وهو يستحق كل اسم وصفة من اسماء الفضل وصفاته ومعانيه ، وهو مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة صلوات الله عليهم » . فالحج لا يتم الا بالسعي الى الامام ، والدخول في دعوته ، وزيارته ، ولو مرة في الزمان . ولهذا يقول ابن هانيء الاندلسي :

بـكم عز ما بين البقيع ويثرب
ونسك ما بين الحطيـم وزمزم

فالبقيع ويثرب والحطيم وزمـزم عزت بالامـام الفاطمي لان وجوده جعلها مناسك يقدسها المسلمـون وحجهم اليها لايتم الا بقصده . « فمن وجـد ذلك ، وامكنه كان عليه طلب امام زمانه حتى يصل الى معرفته كما يطلب الحاج في الظاهر البيت الحرام الذي ذكرنا ان مثله في الباطن مثل امام الزمان حتى يصل الى معرفته ويتقلد عهده ، ويدخل في جملته » (٥) وأولوا الآية الكريمة : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بأن « رووا عن رسول الله من انه قيل له فما الاستطاعة ؟ قال : هي التأييـد . وقـال : الزاد الراحلة . والبيت دليل على الامام (٦) . وبسبب هذه العقيدة كان ابن هاني يتلهف على الزمن الذي يستطيع به الامام المعز لدين الله ان يستولي على الحجاز ليقترن الحج الظاهري بالحج الباطني بوجود الامام في البقاع المقدسـة :

حبيب الى بطحاء مكـة موسـم
تحيي معدا فيـه مكـة والحجر

(١) ـ المجالس والمسايرات ورقة ٣٦٧
(٢) ـ المجالس والمسايرات ١٩٨
(٣) ـ القاضي النعمان : تأويل دعائم الاسـلام ورقة ٥ ـ مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ـ
(٤) ـ ديوان المؤيد ٢٩٢
(٥) ـ تأويل دعائم الاسلام ٦
(٦) ـ الرسالة المذهبة

هنـاك تضـيء الارض نورا وتلتقي
دنـوا فلا يستبعـد السفر السـفر

وتدري فروض الحج من نافلاتـــه
ويمتاز عنـد الامـة الخير والخير

فبطاح مكة تنتظر هذا الموسم الذي يضيء قبـة الامام معد شعابها ، وعندها تشرق الارض نورا ،ويطبق الامن فجاجها ، وتستبين احكام الحج فتعرف فروضـه ونافلاته . ورووا عن جعفر الصادق قوله . « ما من عبد مؤمن طاف بهذا البيت اسبوعا وصلى ركعتـي طوافه ، فأحسن طوافه وصلاته الا غفر الله له . فهذا في الظاهر كذلك امر مرغوب فيه مرجو ثوابـه.وتأويله في الباطن ان البيت مثله مثل صاحب الزمان ومثـل الطواف به مثل تمسك اهل دعوة الحق بامام زمانهم ولواذهم به ، واقبالهم عليه ، وابتغائهم فضل ما لديـه من العلم والحكمة . ومثل طواف حج البيت اسبوعـا مثل اقرار اهل دعوة الحق بالنطقاء السبعة ، والائمة السبعة الذين يتعاقبون الامامة من كل ناطقين سبعة منهم بعد سبعة » (١)

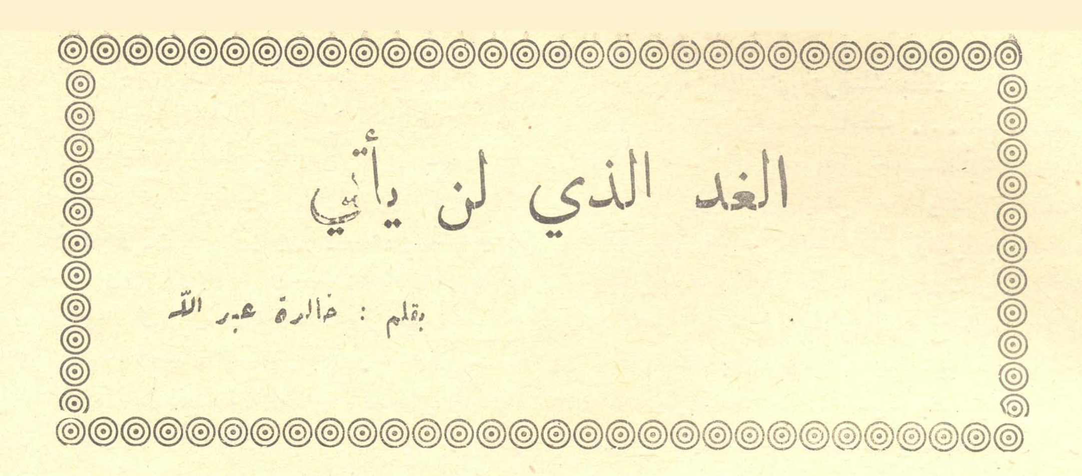
وهكذا لايتم الحج الا بمعرفة الامام ، واتباع دعوته وزيارته لان الحج الظاهري مرجو ثوابه .. بيد انـه يظل ناقصا حتى يعرف المستجيب الامام ويقصده ليقترن هذا الحج بالحج الباطني الصحيح .

وبعد ان معرفة الامام ، والدخول في دعوته فريضة لا يتم الدين عند الفاطميين الا بها . ولقـد غالـى الاسماعيليون المتأخرون فزعموا ان كل انسان لا بـد ان يعـرف امـام الزمـان ، واذا لـم يؤمن بـه في حياته ، فتظل روحه تتناسخ ، وتنتقل من دور الى آخر حتى يتم لها الايمان بالامام ، وعندها تنجو وتنتقل الى عالم الجنان .

محمد حاج حسين

---

(١) ـ المجلس التاسع من الجزء العاشر من المجالس المؤيدية .



الغد الذي لن يأتي

بقلم : خالدة عبد الله

انني غريبة ومئات الاشخاص حولي ، وحيدة والكآبة تعصر روحي ... ماذا احس؟ ما بي ؟ مايمور بأعماقي ، بقلبي ويمنعني عن الرؤيا ، عن السماع ، حتى امي الى جانبي لا اراها وحديث اخي لا اسمعه،والضجة تأتيني من كهف بعيد ...

انك لم تعرف غربتي المريرة ووحدتي القاسية وكآبتي اللامتناهية ... ماذا ...؟ خدر هادىء ينساب الى كياني مع الصوت الملائكي ...

كيف انساها وقلبي
لم يزل يسكن جنبي
انها قصة حبي.

ووجدتني اردد بلا كلمات انها قصة حبي ، ووجدت الارض والسماء والاشجار والهواء تردد انها قصة حبي ......

لا لن انساها .. انا انساها ..؟ وكيف ؟ اينسى العابد خالقه ومبدعه ..؟ اينسى المؤمن ربه ومبدعه أتنسى الارض العطشى تلهفها لقطرة ماء باردة ..؟ أينسى الرضيع ثدي أمه ..؟ لا لا محال ... وهذا انا ... أأنسى حبي وناره رغم مرور الاعوام تؤجج وجودي ... أأنسى عابدي وصلاته لاتزال ترجف بقلبي ، صلاته الخاشعة يتلو بها آيات حبه .. ؟ أأنسى معبدي ولا يزال عبقا ببخوره الالهي ...؟ اف مالي ولهذه الذكريات ، أتيت استمع الى ام كلثوم التي طالما تمنيت الاستماع اليها عمري ... ولكن مابي ... لا استطيع احتمال وجودي ومن حولي ... الصوت الرائع ينساب اكثر فأكثر الى اعماقي ... الى ذكرياتي الخبيئة ، انه يحكي قصة حبي وينشرها للآخرين ... لقد عرف الجميع قصة حبي ، القصة التي أخفيها بين جنبي .. قصة حياتي التي اعيش كل احداثها وأعي تفاصيلها ....

اليك عني ما شأنك بي لماذا اتيت الى هنا ، دعني استمع الى ام كلثوم .. الى ذكريات ... لماذا تتبعني الى كل مكان وزوجك الشابة الى جانبك .. عقدها اللؤلؤي يلمع في جيدها وشعرها مرفوع باناقة محببة وفراؤها ينزاح عن كتفها الصغير فتزحف نظراتك ببطء الى العنق الابيض وتصر بأسنانك ، انها زوجك التي طفت بها دول اوربا وقدمتها للعالم باعتزاز ذاكرا اسم ابيها ومركزه ولقبه ... وانا انا الصغيرة العابدة ، في بيتي البعيد وغرفتي المظلمة وسريري البارد .. اجتر احزاني وآلامي ، واتلوى محمومة محاولة تمزيق جسدي ووسادي ، انزف دمائي وكرامتي في عمق الليل،أنادي ليعود الي الصدى انظر لارى ظلي الميت ... النار ، نار الكائنات تحرقني والبراثين المسعورة تؤججني اعضائي واحشائي تحولت الى انياب مسمومة تفتك بي .... اشيائي المبعثرة تهزأ بي وتصيح ساخرة .. النافذة المغلقة على الف شبح وصوت ترمقني مشفقة ، الزهرات الناحلة تحبو لتلملم اشلائي المتناثرة وروحي الاسيرة ... لم اعد احتمل اريد ان اصيح ملء صوتي ان اركض حافية في الطرقات الوحلة ، ان اغرق في بركة عفن نتنة ، لا استطيع احتمال وجودي احتمال الهزء والسخرية ... ولكن لا .. لن أتألم سأخمد ناري بيدي هاتين ... لا لن أتألم لاني املك حريتي وزماني املك كياني ونفسي ... اني متحررة منطلقة بينما تعيش انت الف قيد وقيد ... اني لا ازال اذكر كلماتك في ليلتنا الاخيرة التي تضمها غرفتك المشرفة على بردى الى الآن وتحتفظ بها .. عندما اهديتني آلتك الكاتبة واعدت لي رسائلي وصوري واحتفظت بواحدة منها .. لقد تحدثنا طويلا في تلك

لقد قلت لي ... ليلى انك أفضل مني وانبل ... فأنا حقير ، تافه ، جبان ، لم استطع التحرر من اهلي وظروفي وتقاليدي السخيفة من امور صغيرة تسيطر علي وتجعلني عبدا لها بينما تعيشين انت حياتك وتملأين زمانك وتعرفين ما تريدين وتسعين لتحقيقه ... وغسلت دموعك وجهك وتساقطت على ذاك الثوب الذي احببته ولا تزال هناك تروي للظلام للخزانة المهملة قصة انسان استهتر بها واستهان ... وتذكرنا معا الماضي كل الماضي لقاؤنا الاول في المكتبة افكارنا حول الشعر القديم آمالنا المشتركة في الابداع الفني والفكري سباقنا في تخليد عواطفنا وسائلنا المسهبة ، امسياتنا الخالدة حبنا ذاك الحب الذي عرفنا على الحياة والجمال والابداع وجعلنا نرى حياتنا قبله هباء وفراغا ، تحليلنا لكثير من الامور التي كنت افهمها بحدسي العفوي واعللها بمشاعري الفطرية وتأخذها انت بمنظار العلم الواقع فيمتزج حدسي بتأملك ويعطي تعبيرا رائعا يدهشنا ويدهش من حولنا لقد حلمنا طويلا بأن ندهش العالم ونجعله يركع امامنا ... وقوفنا طويلا مع امريء القيس والاغاني والبير كامو واندرة جيد وسارتر وغوبا لوركا كافكا ...هربي اليك بارادتي الى بلدتك البعيدة ، اختبائي في سيارتك الخضراء الكبيرة عودتك الي مشوقا دائما باستمرار ، وتذكرنا الغد ، الغد الذي لم ولن يأتي ، الغد الذي نسجنا خيوطه خيطا خيطا ، سمينا الاطفال وانتقينا المنزل وأعددنا كل زاوية فيه واختلفنا على لون غرفة النوم ، أتكون زرقاء أم خضراء وفضلتها خضراء لتعكس لون عيني ونسيت في غمرة حبي نفسي وامور تعلمتها منذ طفولتي تعلمتها من امي ، من اهلي من صحبي ان الاغنياء لا يعرفون الحب الحقيقي ولا يرقون بالحب الى العبادة انهم يحبون المال والجاه ، وضحكت عن ثقة انك وان كنت غني لكنك تختلف عنهم ... انك فنان مرهف وتعتنق افكارا تقدمية واني بتعليمي وثقافتي وجمالي وانوثتي ونضجي عوضت عن اسم ابي المتواضع وانتسابي الى أب موظف بسيط واني استطعت ان أملأ فراغ حياتك وان اوحي اليك واني انسانة حلقت بأجوائك وفهمت تمردك وحضنت ثورتك ولكني في تلك الثورة عرفت الحقيقة التي تهت عنها بأنك ابن طبقتك واسير سخافتك ومركزك اسير قيدك وتفاهتك .. وشعرت اني انا الانسانة لا انت وانسانيتي جعلتني اراك انسانا وكبرت بسمتي وادركت اني انا الصغيرة المتواضعة اكبر منك واكبر من طبقتك وطموحك الزائف الذي تريد ان تبنيه على زواج فاشل من دمية صماء ...

اكبر منك انا التي عرفتك بطلا عملاقا وصغرت ثم صغرت حتى لم اعد المحك ... لم احقد عليك لانك احقر من ان تستحق حقدي .. ستذهب اليها وتأخذها اليك وتسافر معها وتدخلها مكتبك . ستنام معها في سرير اعددته لي وتقرأ بكتاب هيأته لي وتشرب من كأس ملأته لي ... وتراني بشعاع عينيها الاخضر المتموج ، ذاك الشعاع الذي تزوجتها من اجله ، لقد بكت تلك الدمية كثيرا عندما عرفت منك ذلك ولو كانت انسانة حرة لبصقت في وجهك وطردتك من بيتها كالكلب المسعور ولكنها لم تفعل لانها مثلك اسيرة طبقة محفنة مال ومركز موهوم ... تزوجتها ورددت ساخرة تزوجتها لانها تحمل لون عيني ناسيا ان اللون لايعطي لعيني شيئا .. انه قلبي ، انه كياني ، انه وجودي انه حبي وصلاتي .. يتحول الى شعاع متموج يتفجر من عيني ويغمر بدهشة ... ثم لم تكتف بذلك بل اخرت العرس شهرا لتتم لي الرواية . الرواية التي كنت تقرأ لي صفحاتها على ضوء شمعة ذابلة ، الرواية التي اعددتها هدية عرسي .. عرسي انا لا عرس الاخرى الدمية الصماء ...

كم تمنيت ان اصفعك في تلك الامسية الكالحة ولكني لم افعل .. خفت الاحتقار تنقله يدي من خدك .. خفت التفاهة تتسرب الي منك ... بل لم اصفعك لاني لم اعرفك ، ولاحظت برودي والاستنكار بنظراتي واللامبالاة في حديثي واستهتاري غيرالطبيعي بك فبكيت بين يدي وتوسلت ان ابقى معك وافهمتني ان زواجك من تلك الفتاة التي لاتعرفها لمصلحة سياسة وانك تحبني انا واني حبك الوحيد الحب الذي اعادك الى الشعر الى الفن الى الحياة ، واني الانثى الوحيدة التي ملات عليك الدنيا فضحكت بسخرية لم تفهمها وانا اردد تحبني وتتزوجها ... فأجبتني وشفاهك الراعشة تهدهد اذني ودموعك تحرق عنقي وصدري ولكن كلماتك رغم تاججها لم تتعد سطح شعوري واعدت الجملة تحبني وتتزوجها وضحكتي تدوي في ارجاء الغرفة وتطلعت الى الشرفة باستهتار ... فركعت عند اقدامي نادما مستغفرا وافهمتني انك لم ولن تحبها ولكنك مضطر للزواج منها فأمك واختك وصحبك وحياتك تفرض عليك هذا الزواج ؟؟ ... وجلجلت ضحكتي ثانية وقالت نظراتي امك ترفض ان تجعلني زوجة لك واختك التي أجهل كل شيء عن عالمها بين الحلاق والخياط لاتريدني ؟ ومن قال لك اني اعرف اختك او امك او اسمح لنفسي انا الصغيرة ان اعيش معهما . .وفهمت انت ماقالت نظراتي فحشرجت بصوت

بصوت مسموع وشفاهك تتمرغ على اقدامي وتوسلت الي ان اصمت ، انا التي لم اتكلم واقسمت لي انك تعبدني وهمست تناجيني ....

معبودتي ... الخاتم لها والحب لك
البيت لها والشعر لك
الطفل لها والقصة لك

معبودتي انت زوجي في الروح ، في الفكر ، في العاطفة ... فقهقهت ضاحكة وفي الحقيقة اختبأت وراء ضحكتي وهربت بعيدا بعيدا ... هربت وكلماتك تلاحقني ... ان مستقبلي السياسي يحتم علي تصرفاتي سأصبح بزواجي منها نائبا فوالدها وزير وحزبي كبير وسأنضم تحت لوائه واضمن النيابه والمركز المرموق سأصبح حتما عضو مجلس ادارة في احدى الشركات الكبرى وانعم بالثروة والجاه ... واتركها في البيت واعيش معك الحياة الحقة اعيش للفن للحب للعبادة .. انها دمية اصحبها للحفلات العامة واعطيها اسمي فقط ... لم ادعك تتم حديثك الذي لا ازال احفظه الى الآن وهربت رافضة منحتك بكبرياء .. فانا ابنة الحب وسليلة التحرر والكرامة ارفض منحتك ولن ارضى شريكة بحبي ورجلي وارفض الحياة على مائدة الآخرين امور لم اعرفها ولم اعتدها .. هربت وانا اردد لن تراني بعد اليوم ولن تسمع ندائي ... لن اعيش في ظل غيري .. اما انت فانت تفعل هذا لانك تعرفه من تصرفات امك واختك وجارك وكل من تعرف من طبقتك ...

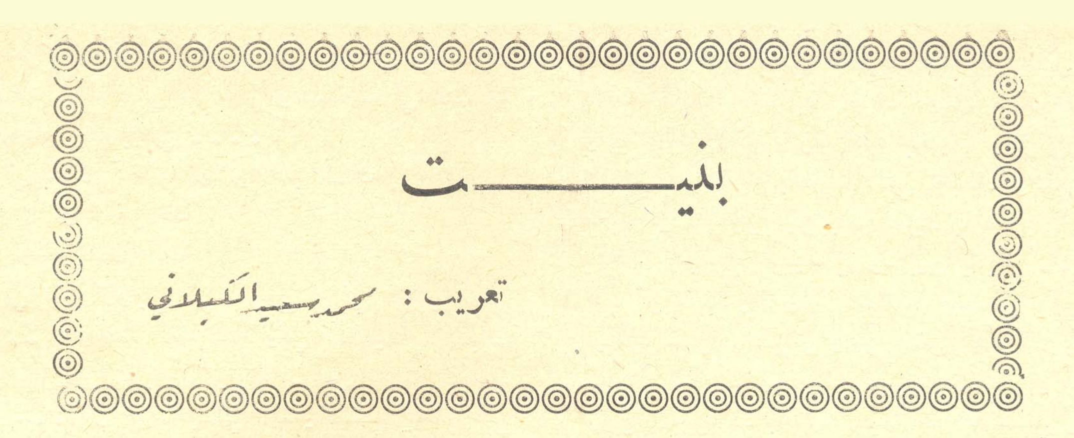
وتساءلت وخطواتي تتعثر بالدرب المظلم والهواء البارد يضمني ، لماذا لم اغرز اظافري في لحمك ؟ .. لماذا لم ابصق في وجهك ؟ لماذا لم امزق اضلعك .. ؟ ولكن لا لم افعل لاني احتقرك واحتقر قلبا احبك هو قلبي وروحا علقت بك هي روحي .. انا فتاتك ومعبودتك ولكن ابي ليس رئيس حزب ووزير ... ابي .. نعم ابي ونسيت اني فخورة بابي الموظف البسيط ، ابي الذي وهبني روحا متوثبة وفكرا منطلقا .. وابي اعتز بطبقتي ، طبقة الشعب التحرر الواعي الذي يعيش كرامته ويخلص لحبيبه وحبه ..

لم استطع النوم في تلك الليلة .. انك مع عروسك تزحف يدك ببطء على صدرها وعنقها وتهمس باذنها بكلماتك الدافئة ، كلماتي انا .. انا التي احببتك من اعماق روحي وادخلتك معبدي القدسي وركعت بين يديك الساعات الطوال وصليت بخشوع وانا اتلو ايات الحب الصوفية .. عرفتك الها اسكنته روحي واطبقت عليه جوانحي وغذيته بندوب قلبي ، عبدتك فعرف قلبي الخفوق وقرر لحني الخلود كنت في الليل اتحول الى ذرات عائمة صغيرة تطوف حول مضجعك تحميك وترد عنك الاذى ، وتداعب جفنيك وتنزلق في فراشك الدافيء وتذكرك بفتاتك التي تعبدك والتي ترقبك في معبدها الصغير فيرتجف ثغرك باحثا عن الثغر المحموم يطلبك وجسد عربيد يتأود بين يديك .. فتتلوى في فراشك والذرات العائمة مستمرة في دغدغة كيانك فتترك السرير وتهرب الى القلم شاكيا له ماتعاني ، فيلملم شكواك ويصيغه قصيدة رائعة او مقطعا من رواية كبيرة انا بطلتها ... أف ما شأني وهذه الصور نسيتها ودفنتها مع حقارتك وبلاهتي في عمق اعماقي ، دافنة معها روحي التي ضلت طريقها في حبك ايها الاناني المستغل اجل ضللت طريق الحب والسعادة عندما احببتك ، ضللت طريقي التي عرفتها والتي عشت عمري أعبدها واقلع اشواكها ، ضللت طريق الله ، لان الحب عندي معبد والرجل اله منه انطلق الى الذرا العالية الى الآماد الواسعة واعرف الخلود والوجود الحقيقي ... احببتك الحب الذي ملك علي زماني ومكاني ومنحته وجودي وزماني الحب الذي اسرني واحاطني كالنور كالهواء حبك انت وعبادتك انت ، حبك الذي رافقني كظلي واعادني للوجود انسانة مرهفة متفوقة ناضجة كئيبة ...

والآن ما شانك بي ؟ لم تغمرني بنظراتك الحانية وزوجك الى جانبك أنسيت اني اكرهك واحتقرك واحتقر نفسي لاني احببتك يوما انسيت انك فضلت عني دميه صماء ومركزا وهميا قد تحصل عليه وقد لا تحصل ، وهمست باذن طيفك ستصبح يوما نائبا محترما ووزيرا حاكما وتنجب لك زوجك البنين والبنات من ابناء الحسب والجاه ولكنك لن تنسى روحا عبدتك وانثى فخرت بك واسكنتك اعماقها وقلبها وتعرت امامك فكريا وعاطفيا وروحيا ، وحبا جعلك الها وعابدة صلت في محرابك طويلا وشفاها جعلت من اسمك صلاتها الخاشعة .....

والآن دعني اقهقه من المركز الذي بقي حلما والنيابة تلاشت مع احلام طبقتك ومركز عمك ... زحفت الي بعمق الليل تريد الركوع في معبدي وتلاوة صلاتي والنهل من نبع ابداعي ولكن ماذا وجدت ...؟؟ وجدت المعبد خرابا والصلاة بكاء .. ووجدتني بعيدة بعيدة اختبيء وراء ضحكتي المخمورة البلهاء ونظراتي الشاردة ... وجدتني كبيرة كبيرة وعجزت نظراتك عن رؤيتي وصلاتك ان تصل اذني .....

خالدة عبد الله



كتب (بنيت) يقول : « ان الصحفي المطبوع يجيء الى العالم ، وقد تركزت في ذهنه فكرة : ان كل شيء في الوجود يدعو الى الاهتمام » .

وهذه الكلمات تنطبق بنفس القوة على بنيت ، القصصي المطبوع ، والمنتمي الى المدرسة الواقعية . فكل ما يجري على الارض من امور ، من اشعال ضوء كاز ، الى ارداء فيل قتيلا ، يعتبرها بنيت جزءا من المواد التي تؤلف قصصه .

ان تفاصيل حياته تساعدنا على فهم هذا الاتجاه عنده . وهذا الاتجاه يقضي بأن يفتش الكاتب على مادة كتابته ، لا في الامور المثيرة فحسب ، بل والعادية ايضا . وكذلك فالوحي يمكن ان يؤخذ من مطبخ بسيط في مدينة (بورسلم) او من فخامة النزل الامبراطوري في لندن .

ان حياة بنيت تنقسم الى فترات اربع ، تكاد تكون مستقلة عن بعضها .

وكل منها ساهم في تطور فنه كقصصي .

الفترة الاولى تشمل فترة شبابه الى السن الحادي والعشرين .

لقد ولد سنة ١٨٦٧ في (شلتون) قرب : هانلي في منطقة صنع الخزف . وقضى سني حياته الاولى طالبا في المدرسة . وفيما بعد ، اصبح كاتبا في مكتب ابيه ، في محيط كان يسيطر عليه تماما ضيق التفكير .

وفي هذا الوقت ، يبدو انه لم يقرأ من الكتب ما هو اكثر اثارة من (مجلة الفتيات) وكتاب تاريخي آخر و (اويدا) وكان اول ماكتبه زاوية اسبوعية تبحث في الاشاعات المحلية ، كما كان يساهم بها في جريدة محلية . وفي عام ١٨٨٨ ترك هانلي ليصبح كاتب محام بلندن .

وخلال هذه الفترة من حياته الاولى ، وهي الفترة التي كونت شبابه ، تعرف على ذلك القسم من منطقة (ميدلاند) الذي خلده فيما بعد ، في قصصه باسم (المدن الخمس) . والفترة الثانية من حياته امتدت حتى ١٩٠٣ . وكان زمن ثقافته الحقيقية عندما تعلم قراءة الفرنسية .

وتقررت في هذه الفترة ، دعامة اسلوبه بسبب دراسته الدقيقة لقصص : فلوبيرت . موباسان وزولا وقد أمضى فترة التمرن على الكتابة بتسطير بعض المقالات في اوقات فراغه . وكان ابرز ما كتبه ، قد اكسبه جائزة الـ ٢١ جنيها من يد (بيت بتيس)، مكافأة على مقال ساخر سنة ١٨٩٣ .

وفي نفس العام ترك العمل القانوني ، وصار مساعدا لمحرر (مجلة المرأة) . وهي مجلة ظل محررا لها حتى سنة ١٩٠٠ .

وفي ١٨٩٨ نشرت اول قصة له (رجل من الشمال) وكان نشاطه في هذه الفترة لايتوقف . فكتب في الدراما والنقد والمقالات وكل عمل كتابي . فكان كل نوع من انواع الحبوب يصلح عنده للطحن ، كما يقول المثل الانكليزي .

وتنتهي هذه الفترة ١٩٠٣ ، اذ قرر في نهايتها ان باريس افضل مكان يناسب كتابته ، ذلك النوع الذي اختاره لنفسه وهو القصة ..

وفي السنوات الاربع الاولى من حياته في باريس استمر يكتب ويعيش بحماس كبير . وعلى الرغم من ان ما كان يكتبه لم يكن ليقل سنويا عن ٤٠٠,٠٠٠

كلمة ، فانه لم يكتب شيئا ذا قيمة . وفي عام ١٩٠٧ تزوج فرنسية .

وبعد اشهر ثلاثة ، بدأ يكتب ما يعتبر — من كل ناحية تقريبا — اعظم قصصه وهي (الزوجات القديمات) ونشرها ١٩٠٨ .

وخلال بقية الفترة التي قضاها في فرنسا ظهرت قصة (البطاقة) (صناعة الفخار) .

كما كتب (حجارة الطاحون) وهي اعظم مسرحية لــه .

وهنا تنتهي الفترة الثالثة ، في دوامة من الرحلات والشعبية والنجاح .

والفترة الرابعة والاخيرة تبدأ بالحرب العالميـة الاولى ، وقد اقتضت نشاطا كبيرا من بنيت . وفي ١٩١٨ اصبح مدير الدعاية البريطانية في فرنسـا . بيد انه لم يضف خلال خمس سنوات ، ما يضيف الى سمعته الادبية شيئا .

ولم يستقر مرة اخرى الا في عام ١٩٢٢ ، في الفترة الثانية للانتاج التي كتب فيها (خطوات رايسمين) و (اللورد رينغو) . وقبل وفاته بزمن قليل ، كتب القصة الطويلة : ثلاثة اجواء : صنع الفخار في ستافورد شير . صالونات ومطاعم وملاهي باريس . وشقق وفنادق لندن . هذه الاجواء كان لهـا اكبر الاثر في فنـه ، كما كانت تتركز فيها حياته .

والاولى منها كـان لها تأثير سيطر على القسم الاول من شبابه . وقد تخلص منها بسرور ليبحث عن الايحاء في لندن وباريس. وعلى نقيض البشاعة وضيق الافق السائدتين في المدن الخمس ، التفت بنيت الى حياة المدينة البراقة السطحية ، والثياب الانيقة ، والاثاث الحديث ، والغرف المضاءة اضاءة اصطناعية أخاذة في فنادق فخمة ، كل هذه الاشياء التي ذكرت اصبحت تسيطر على حياته .

ويتضح من قصصه المذكورة ، ان هذه الامور اقل عمقا في تعلقه العاطفي ، من تعلقه بمكان مولـده . لان افضل هذه القصص ، تقع حوادثها في منطقـة صناعة الفخار .

أما قلب بنيت ، فقد ظل رجلا من سكان المدن الصغيرة محدود الافق ، يمثل رجال الشمال كبطل قصته الاولى . ومن حسن الحظ ، ان شعوره الفني الفطري ، وحساسيته الفنية ، تغلبتا على انغماسـه في فخامة الفنادق الكبيرة ، وعلى انغماسه في سحر النساء الساحرات ، المختلفات اخلاقا ، باعتبار ان هذه الامور مواضيع مناسبة لقصصه .

ولولا هذا الامر لاضطر ان يبني ادعاءه للشهرة على قصص ، جل ما يقال فيها : ان كتابتها جيدة ، وانها مثيرة ، وغير محتملة الوقوع .

كان بنيت قد كتب خمس عشرة قصة قبل ان ظهرت قصته الرئيسية الاولى : (قصـة الزوجـات المسنات) ١٩٠٨ . في بعض هذه القصص كان — لا شك — يقوم بتجارب بوصفه تلميذا لـ موباسان . ستاندال .

وفي القصص الاخيرة — وهي تشكل القسم الاكبر مما كتبه في الفترة الاولى — لم يتمكن من ان ينتج اكثر من كتابة تجارب عادية .

ان رواية (الحب الطاهر والدنس) و (رجل من الشمال) ، كلتاهما في شكل قصة على الطريقـة الفرنسية الواقعية .

وأما قصة (دفن حيا) فتستحق القراءة ، لرشاقة اسلوبها في معالجة موضوع غير محتمل . غير ان فيها شيئا من المرح .

وبين هذين الموضوعين روايات مثيرة كتبها للربح المادي وحده . اما الآن فليس لها الا قيمة تاريخية . وهذه القصص من نتاج حياة المدنية كما في (ثروة المدينة) وفيها كثير من قصص الجثث ، واختفاء الاشخاص ، والابواب السرية ، والوصف المشوه للطبيعة الانسانية. ونجد هنا وهناك ، وصفا مختصرا لما اصبح فيما بعد شخصيات واجواء كاملة ، ظهرت في رواياته المتأخرة.

فهناك قصة (فندق بابل الكبير) وفيها توقـع لقصة اخرى .

وبعد المبالغة والاخطاء التي شوهت رواياتـه الاولى مثل (قصة الزوجات المسنات) جاءت قصصه التالية وفيها ضبط ومعالجة موضوعية ، ووصف متين للشخصيات ، وتركيب متين . هذه الروايات كان فيها شيء غريب ومتناقض كما سبق . ويبدو ان الكاتب وصل الى غاية طاقته فجأة . وبقفزة واحدة وصـل مكانه المرموق بين كبار القاصين . وموضوع القصة بسيط ، وهو حياة اختين ، ومرور الزمن السريـع ، وتأثيره على حياتهما .

واما الاختان فهما : (كونستانس) و (صوفيا) . وهما

فتاتان محبوبتان ، وابنتا صاحب مخزن لبيع الاحذية . كان ابوهما مفلوجا ، وامهما محبة للسيطرة ، حاكمة على البيت .

وتحت تأثير تحكم الام ، طبقا للقواعد البيتية المسلكية السائدة في عصر فيكتوريا ، تحت هذا التحكم ، كان رد الفعل عند الفتاتين مختلفا .

فصوفيا هربت مع تاجر متنقل الى باريس . وهناك مرت بها حوادث مختلفة .

وكل الحوادث لا تعني شيئا بالنسبة لهذه الفتاة التي كان عندها براعة . غير انها فتاة عادية من منطقة (ستافوردشيز) .

اما كونستانس ، فخضعت للتحكم وتزوجت مساعد ابيها النشيط (بوفي) .

وركزت حياتها فيما بعد حرل ابنها . ثم دفنت زوجها وفقدت ولدها .

وفي آخر حياتها — وقد اصبحت بيضاء الشعر — رحبت باختها التي عادت من باريس . وهكذا هرمت الاختان ثم ماتتا ، دون ادراك التغيرات الكبيرة التي كانت تجري حولهما . لقد مر الزمن ولم تشعرا به كسواهما من بنات جنسهما ...

وهذه القصة مفصلة متزنة عن اشخاص بسطاء ، عن سكان المدن العاديين الذين يكونون القسم الاكبر من سكان انكلترا .

انها ليست ملهاة ولا مأساة . بل هي وصف للحياة . دون مساعدة اية أزمة ، الا أزمة الموت البسيط .

ان (صناعة الفخار) ، وهي الجزء الاول من مجموعة ثلاثية صدرت سنة ١٩١٠ يدعي بعض النقاد انها اقوى روايات بنيت ، واكثرها تفننا .

وقد تجمعت في كتاباتها كل تجاربه المكتومة عن (المدن الخمس) ولندن وباريس . وفهمه الكامل الجيد لاسلوب فلوبير الواقعي ، وستاندال ، وموباسان .

ودافعه لكتابة رواية عظيمة ، أنه كان يهدف الى النجاح . وانه كما قال هو في احدى المناسبات : لا يعبأ بأكداس العليق في سبيل النجاح .

وبنفس الموضوعية المدروسة ، والانتباه التام للتفصيلات الهامة ، كما عرضها في قصة (الزوجات المسنات) ، فانه يصور حياة مجموعة صغيرة من الناس في المدن الخمس . والقصة تتركز حول شخصين هما : (داريوس) وابنه (ادوين) .

وكان داريوس معدنا سابقا ، قام بدأب مستمر ، في مشروع ناجح في مهنة الطباعة . وتتطور شخصيته بوضوح وتكامل : قاس لا يرحم . ضيق التفكير . انموذج للشخص الفيكتوري . وهو ايضا رجل اعمال ناجح . مع عطف بسيط على افكار الشباب واحلامهم .

أما ولده (ادوين) فيقوم بثورة صامتة ضد بيئته على وجه العموم ، وضد استبداد والده خاصة .

وفي نفسه آمال غريبة . هي طموح لا يمكن التعبير عنه . ولا يعني شيئا بالنسبة للوالد .

فأقصى طموح (ادوين) ان يصبح مهندسا . ولكنه اجبر على دخول اعمال الطباعة . ويقع اخيرا في حب (هيلدا) ، تلك المرأة الغريبة الطباع . غير ان آماله العميقة تحول الظروف دونها للمرة الثانية . فهو يميل الى الاذعان . وينزلق الى المحيط العادي للحياة اليومية . ويظهر تفوقا — دون ان يدرك ذلك — على ابيه .

وتستيقظ فجأة حينذاك كل الرغبات القديمة ، باجتماع ثان مع ، التي كانت مسرورة لانها وجدت الطمأنينة بين ذراعي ادوين ، بعد ان عضها القدر ، وبعد أن آذتها معرفة قسوة الحياة طوال عشرة اعوام .

وتحتل هيلدا الرواية الاولى من المجموعة الثلاثية ، وهي تقص القصة من وجهة نظر البطلة ، — هي البطلة — . وتأخذ القارىء الى (برايتون) (صنع الفخار) كما تأخذه الى لندن .

وهناك شخصيات اخرى اجتلبت للقصة . والشخصيات التي كنا الفناها في (صنع الفخار) نراها الآن بعين مختلفة .

انها كتبت بثروة اقل تفصيلا ، وبقوة عاطفية ، اعمق مما نشاهده في اية رواية سابقة له : ادوين وهيلدا .

ورواية (ارتوين) تكمل قصة ادوين وهيلدا ، خلال الصراع الذي لا يتجنب في حياتهما الزوجية .

لقد نمت شخصيتاهما ، ونرى هذا النمو في تتبع مجرى زواجهما ، حتى ادراك ادوين النهائي : (ان السعادة تكمن في الاذعان لكل شيء : للعدالة والظلم) .

بهذا التتبع ، يظهر بنيت مرة اخرى التيقـن والسيطرة ، التي تطبع كل انتاجه خلال هذه الفترة.

هناك فجوة في حياة بنيت الابداعية بين ١٩١٦ـ ١٩٢٣ . ولعل السبب في انه لم يكتب شيئا يوازى (قصة النساء القديمات) (صنع الفخار) في هـذه المدة من الزمن .

ويمكن ان يعود السبب الى الارهاق والانهـاك اللذين نتجا عن نشاطه المتواصل كصحفي وداعيـة ايام الحرب .

وقد عادت له قوتـه ١٩٢٣ بظهـور (خطـوات رايسمين) . وهي دراسـة عجيبة القـوة لبخيـل وخادمـه ، في اطار يضم احدى ضواحي لندن .

انها اعظم رواياته اهتماما بالبناء . وفيها يعطي التعبير الكامل عن نظريته في ان : (انشاء الروايـة الجيدة ، هو خلق الشخصيات ولا شيء سواها) . ويبدو هذا على الخصوص في تصويره المثير الغريب لشخصية : اور لفوراد ، بائع الكتب البخيل : هـل تبيع الغبـار ؟ هل تحصل له على ثمن ؟

وترتسم صورة (الزي) الخادمة ، جيدا كفـل حسن في عالم قبيح شرير . وينير جمال روحها ظلام الامكنة في (نهاية الشرق) . ويعطي الـكتاب متعـة لا تحرزها اية قصة اخرى لـ بنيت .

ان قصـة (لورد رينغـو) التي ظهـرت ١٩٢٦ و (القصر الامبراطوري) ١٩٣١ همـا آخر روايتين مهمتين لبنيت .

والرواية السابقة هي صورة مـكبرة لسياسي كما توجد لمحات من (رينكو) نفسه في الروايات الاخرى : (رجل عظيم) (البطاقة) .

ان الكتاب يعتني بالجمهور في الاماكن العامة ، وفي انتاجه العظيم الاخير (القصر الامبراطوري)يهمل العنصر الانساني . ويركز اهتمامه على المكان . انها لا تزيد عن صورة مفصلة مكبرة لفدق تكتشـف فيـه كل زاوية . وفي اطار تهبط فيه الشخصيات امثال افلين و كراس و بولر و سـافوت و فيوليـت ، تهبط فيه الى مجرد دمى تضيع في غابة الاشيـاء الماديـة .

وترتبط مساويء بنيت البارزة بالاسلوب الفني الذي تبنـاه .

لقد كان مفرط الاهتمام بالبناء . ولكن نتيجـة لرغبته في توفير تأثير كتأثير الحياة ، فقد اعتمـد كثيرا على تكوين التفاصيل على حساب السرد الجيد للقصـة .

وفي بعض الروايات نجد القصد معدوما ، خاصة في رواية (القصر الامبراطوري) :

حيث يكون لموظف في فندق ما ، شأن مع ابنة متمول مثر .

بيد انه يتزوج ـ في النهاية ـ مدبرة الفنـدق المماثلة لـه .

أما روايتا (خطوات رايسمين) (قصة الزوجات المسنات) فمتساويتان في ضعف العقدة .

ان تعقبه للتفاصيل ، كان مصدر ضعف ثـان : هو ميله لمعالجة عاطفية للحوادث والحركات ، مـع ابراز لاهمية الاشياء الصغيرة ، دون ان يكون لهـا قيمة رمزية حقيقية .

وهذا الوجه من كتابته هو الذي اثار نقد السيد (ولف) بأنه « صرف بالاشتراك مع ويلز و كولزورثي مهارة عظيمة وتصنيما زائدا . جاعلا التافه والآني يبدوان حقيقتين ثابتتين » .

ان هذه الجملة فيها بعض الحقيقة لا كلهـا . ففي رواياته قصة النساء المسنات و خطوات رايسمين و صنع الفخار ، أعيا سكان المدن العاديين في انكلترا، وعرضهم في اطار حقيقي جدا ، ومملوء بالتقاليد .

كما عبر عن تقدم الزمن السريـع ، المملوء بالمآسي .

وعلى نقيض معاصره القديم (ويلز) فهو لايفرض علينا شخصيته ابدا .

ويتجنب الارشاد . وكملاحظ مفتون بـدورة الحياة اليومية ، يعتبر روائيا حقيقيا بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة .

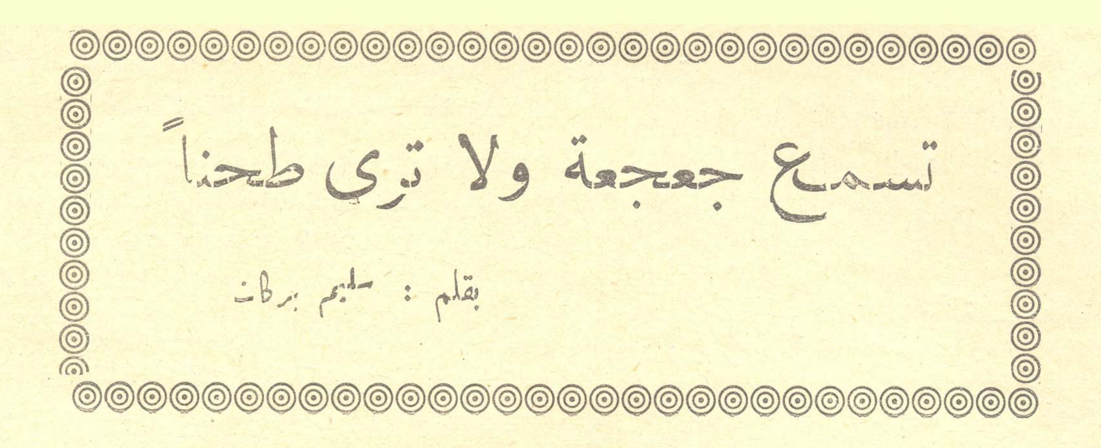
وتصويره لهذه الحياة حي ومفصل وموضوعي. لقد كان له استيعابه التام ـ لتلك العاطفة التيتعانق الجديع ـ . والتي تعتبر اساسية في أي روائي .

وهذا هو الذي يعطي العمق والمعنى لافضـل رواية لـه .

انها تؤكد شهرته كفنان ، على الرغم من تصريحاته المتكررة (بأنـه كـتب لاجل المال ، وانه كان يغش معاصريه فقط) . وانه في كلماته الخاصة كان :

(الجني الذي يقوم بالحيل بنـوع من الانفعال وبالقلم والورق) .

محمد سعيد الكيلاني ـ حماه



هناك بعض الحقائق والملاحظات الفكرية التي مايكاد القاريء يطالع بداية السطور المتضمنة لها حتى يستبد به السخط ويتولاه الامتعاض لا لانه يستنكرها اويرغب في مقاومتها بل لانه يؤمن بها ويراها من البداهة بحيث يحز في نفسه ان يجد من يفترض لديه حاجة لتحديثه عنها .

ولعله ان يكون في مقدمة هذه الحقائق تلك الحقيقة التي تعبر عن اهمية الثقافة الاصلية الحية في نهضة الجماعات وسمو الافراد . ولذا فانني لا اقصد الى ان اتحدث عنها بذاتها بقدر ما اريد ان اتجول ببصري في الميدان الثقافي الذي تعرض فيه مقومات الثقافة الشعبية لارى مدى التناسب بين بداية هذه الحقيقة وخطورتها وبين ادوات التثقيف المتاحة للقراء في العالم العربي هؤلاء القراء الذين على نمط اهتماماتهم العقلية وعلى المستوى الفكري الذي يتأملون فيه مختلف قضايا حياتهم وحياة مجتمعهم — يتوقف المستقبل الروحي والمادي ايضا لهذه البلاد .

وسأجتزيء من النواحي العديدة التي تنطوي عليها مثل هذه المحاولة بالتحدث عن اهمها في تقديري وأعني به ناحية الصحافة العلمية والادبية وما يصارعها من فنون الصحافة الاخرى .

لقد كان في مصر بوجه خاص حتى السنوات القليلة التي تلت الحرب العالمية الثانية عدد لابأس به من الصحف والمجلات الراقية الممتازة التي تتناول احسن الموضوعات بخير المناهج والاساليب وبمستويات لايمكن القول بأنها تفوق حدود افهام المتعلمين اذ ان كثيرا من طلبة المدارس الثانوية كانوا يقرأون هذه الصحف ويتذوقونها . ومن كان في شيء منها مايفوق مستواه كان يروض نفسه عليه ويستعين بآراء زملائه او مدرسيه .

وكانت المشكلة في مصر والبلاد العربية ان عدد من يعرفون القراءة قليل وان من يقرأون بالفعل قراءة المعرفة والثقافة هم اشد قلة ومعنى ذلك انه من بين الملايين الكثيرة من المواطنين كانت الصحف الفكرية لاتنتشر الا في مجال محدود بالقياس الى المجالات الثقافية وعدد القراء في اوربا وامريكا . لكن هذه الصحف قد ضمنت لنفسها من قرائها القليلين ما يجعلها تغطي نفقاتها وتستمر في الصدور في نفس الوقت الذي نشطت به حركة التعليم العام في معاهد الدولة وصار يتخرج من هذه المعاهد كل عام عدد جديد من حملة الشهادات الدراسية المختلفة بالاضافة الى خريجي الجامعات ووفود البعثات وكان هؤلاء جميعا يزيدون من عدد المثقفين والقراء في البلاد زيادة سريعة .

لكن الشيء المؤسف بل الشيء النكد انه في الوقت الذي تكونت فيه بمصر صحافة علمية قوية تعرض لاحدث الافكار وللهام منها في التاريخ وفي العصر الحديث . ووجد لها جمهور من القراء المثقفين ثقافة عالية او من المتوسطين في ثقافتهم وهو جمهور يتزايد — كما قلنا — كل يوم ، بدأت تمد رأسها هذه الى التجارة الصحفية التي جعلت هدفها مجرد الانتشار على اوسع نطاق وصورت نهجها بما يهواه ويتعشقه اقل الناس ثقافة واضعفهم علما وقدرة جعلت هذه الصحافة غير العلمية وغير الادبية (فضع ياصديقي القاريء وصفها الحقيقي من عندك كما تشاء) جعلت اساس خطتها ان تخضع لهوى هذا الانسان وميوله وقدمت له كل ما يشتهي . بل ولم يفتها ان تستحدث له الجديد من الميول والشهوات . وهنا بدأ كثيرون ممن كانوا يحملون انفسهم على قراءة تلك الصحف الراقية لما لم يكونوا يجدون سواها ولما كانوا بما يبذلون من جهد يتثقفون ويتكون منهم المواطنون الصالحون — بدأ هؤلاء يعرضون عن صحفهم ويقبلون

على مانجم امامهم من شيء جديد ليست منه هذه الابحاث التي في بعضها الرؤوس والتي يضطر قارئها الى ان يعيد قراءتها المرة تلو المرة وان يناقش فيها اصحابه وجلساءه وذوي المعرفة ممن حوله ولا بد له في قراءتها ودرسها ان يكون متنبها صاحيا متيقظا كل التيقظ . بدأ القراء يقبلون على مانجم امامهم من شيء جديد فيه قصص بسيطة رقيقة الفكرة قريبة الاسلوب لا تزيد ثقافتها وعمقها عن ثقافتهم المحدودة وافهامهم السطحية وفيه كذلك تحدث طويل مفصل عن كواكب السينما ومزايا شفاه فلانة منهن او ساقيها وذراعيها ونهودها مع صور تفصيلية دقيقة لكل مايتعرض له خلال هذا التحدث الجذاب . وفيه ايضا معلومات مسهبة مستقصاه عن الطعام الذي يفضل الراقص فلان تناوله عند الصباح والساعة التي يأوي فيها الى فراشه المهرج فلان وفيه منتخبات من الفكاهات للغرائز وفيه شذرات متناثرة من هنا وهناك ولمحات متفرقة تتناول بعض المسائل الثقافية بعض التناول يقصد من غرضها مراعاة حق بعض القراء الذين يحبون الا تنقطع صلتهم بالمسائل الثقافية شريطة ان تعرض عليهم مفرغة من مضمونها الثقافي .

واصبح الموقف غير متناسب بالمرة : صحف تعتمد على ارادة القراء في ان يتعلموا او ارادة رجال العلم لهم في ان يتعلموا (وما ضعف ارادة المرء لنفسه واوهى ارادة سواه له) وصحف تعتمد على الغرائز والميول.

وعلى هذا فان معظم جماهير الصحف العلمية الممتازة اصبحت تتهاون في جنب صحفها وتفر منها الى هذه الاشياء البراقة الهينة التي طرأت على نحو مايحدث عندما يكون الطفل ذاهبا الى المدرسة بما ينتظره فيها من جهد ودرس وعناء ويقف في الطريق مرغما استهواه الحاوي الذي يبتلع السكاكين ويدخل وسط اطار اللهيب ويخرج من جوفه الشفرات والابر.

صحف جديدة لاتقتضي من هؤلاء القراء ان يكونوا لقراءتها صاحين او نائمين ولا تستلزم ان يكونوا عالمين او جاهلين . ولا يلتقون فيها بما يحتاج فهمه الى مراجعة او تأمل بل يقرأونها وكأنهم لا يقرأون .

وبذلك لم يبق للصحف الا اعداد من صفوة المثقفين وما اقلهم في البلاد العربية بالنسبة لحياة صحفية او كتاب وحتى هؤلاء انفسهم بدأ كثير منهم تستولي عليه ميول السخف وينقاد للشهوات والغرائز وتجتذبه صحف الرسوم المغرية والريبورتاجات المثيرة وتوالت حوادث الوفاة في صحف العلم والثقافة فمات المقتطف وماتت الرسالة ومجلة علم النفس ومجلة الكاتب المصري ومجلة الكتاب وكان من الامور المحزنة حقا ان مجلة علم النفس عندما توقفت ليس في العالم العربي كله الا تسعون مشتركا فيها على ما اذكر .

ماذا كان على الاستاذ الزيات او الدكتور يوسف مراد وبقية رجال الصحافة العلمية لو انهم اضربوا عما كانوا يذيعونه ويعنون به من الموضوعات العلمية القيمة واستبدلوا به موضوعات سهلة هينة شفافة يقرؤها من يريد وهو قادر على ان يفكر اثناء قراءتها في موضوعات اخرى دون ان تعوق مجرى تفكيره ودون أن يحول تفكيره الخاص بينه وبين الاستمرار فى استيعاب معانيها التي لاتعني شيئا .

يقولون ان هذه الصحف كانت ارستقراطية لا تبالي بمستوى الشعب وانها كانت تعيش في ابراج عاجية وانهم يريدون شيئا حيا متصلا بذوق الشعب يهبط لمستواه ويثقفه .

كلام يقال ورد يرد كما يرد صاحب كل حماقة عن حمقه والذين يقولون هذا الكلام يجهلون ان هذه الصحف كانت خير وسيلة ثقفت الشعب وخلقت فيه هذا الحد من الاستنارة وان كل مافي البلاد العربية الآن من وعى فانما يرجع اليها ولا يرجع ولا يمكن ان يرجع مطلقا الى هذه الصحف الاستغلالية الفارغة التي ان كان لها فضل في شيء فهو انحطاط الذوق العام وشيوع الاستهتار الفكري والخلقي لدى كثير ممن هم قراؤها دون ريب . وماذا عسى ان يكون في البحث عن احذية نجوم هوليود من تثقيف . وماذا عسى ان يكون في الرسوم الفضولية الرقيعة من اعلاء للرأى العام وماذا عسى ان يكون في القصص الحقيرة والنكات البذيئة من تعلم او توجيه .

انني اعلم ان لدى اصحاب هذه الصحافة لما يبلغ بهم الضيق مداه ممن ينقدهم ويعنفهم على اللغو الذي يلغونه – لديهم او لاقل ليس لديهم مايدافعون به اكثر من وصفه بأنه رجعي . وينسى هؤلاء اننا اذا طبقنا احترام كل ما هو طاريء حديث وازدراء كل ما هو سابق على شيء آخر فسنمنع الاطباء من معالجة المرضى لان الشفاء عملية رجعية – وسنمنع الذين يبحثون عن اعادة الشباب ومعالجة الهرم وسننقد السكران ان صحا والمجنون ان عقل بل نحتقر السائر الذي يضل في طريقه فيعود ادراجه ليكتشف الطريق الصحيحة .

العظـــــــام

قيـل هـل تمـدح العظـام لتغـدو	فـي حياة تفيـض منهـم نعيمـا
قلت أيـن العظـام هـاتوا عظيمـا	انـنـي مالمحـت قـط عظيمـا
أفيشـرون عـزتـي بفنـاهـم	ويسمـون ذلتـي تكريمـا
أنـا عنـدي الطغـاة ليسوا عظامـا	ولـو استحـوذوا الثـرى والنجومـا
العظـام العظـام عنـدي حقـا	قـادة الفكـر مـن أنـاروا الحلومـا
لـو ألاقـي معظمـا كالمعـري	كنـت أشبعتـه بمدحـي نظيمـا

والواقع ان مسألة تقويم وسائل التثقيف العـام اخطر جدا من ان يفسح في امرها مجال المهاترات او التلاعب بالالفاظ . والمسألة في حقيقتها تنحل الـى وجهتين من النظر احداهما ترى حقائق العلم والادب مادة للتثقيف ووسيلة واخراهما ترى كل شيء مـادة للتربية والتثقيف ما عدا حقائق العلم والادب .

ويردد قوم آخرون في معرض التبرير لهذه الظاهرة الكريهة في حياتنا الفكرية ان ما نشكو منه من هجوم الصحافة السطحية والاستغلالية على صحافة العلم والادب الرفيع مد عالمي تشاهد نظائر ما عندنا منـه في كافة بلدان العالم الحديث ومثل هذه الطريقة من التبرير او التفسير اجدني امقتها الى درجة تصرفني بالمرة عن القول بانها خطأ او صواب واكتفي بالتساؤل : هل كان عموم الشر في يوم من الايام وسيلة لاعتباره خيرا او صارفا عن مقاومته . ان غاية ما يبلغه فقدان الذاتية بالانسان ان يجعل قيمة حياته متوقفة على تماثلها مع مافي حياة الآخرين .

والقارىء يلاحظ في غضون ما تقدم ان عرضنـا لوضع **الصحافة العلمية قد كان مقتصرا** على مايخص الاقليم المصري من الجمهورية العربيـة المتحدة وان الحديث لم يتطرق الى الوضع في الاقليم السوري ومرد هذا الاقتصار اننا كنا دائما نعتبر النشاط الصحفي الفكري الذ بلغته يالصحافة المصرية العلمية حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية ذروة ما بلغه هذا النشاط في أي جزء من اجزاء العالم العربي بحيث ان تراجعه عن القمة التي وصلها تحت تأثيرمزاحمة انواع الصحافة الاخرى كان خسارة مريرة جدا وان الذي يرجع الآن الى مايقتنيه من مجموعات مجلة المقتطف او الرسالة والثقافة والهلال القديم يحس ان هذه المجلات العالية القيمة قد تركت باحتجابها فراغا لم يقم ما يعوض عنه ومن جهة اخرى فان وضع الصحافة العلمية فيسوريا يختلف كل الاختلاف عنه في مصر فهذه الصحافة كانت وما تزال في سوريا تشكو ازمـة عنيفة بل جـدبا محزنا . ولم يعهد تاريخ الصحافة في سوريا ان مجلة علمية قوية حافظت على حياتهـا اكثر من اشـهر معدودات ولذا آثرت ان أرجيء بحث هذه الناحية الى مقال مستقل يحتمل قدرا اوفى من التفصيل . وان من يلاحظ هذه الناحية يحس بان جهود صاحب هذه المجلة ـ الثقافة ـ في متابعة اصدارها في عامهـا الثالث وتصميمه على المضي بها حتى النهاية يستحق التهنئـة والاعجاب والتأييد .

اذكريني

اذكريني كلما أشرق نور الفجر في الروض ولاحا
وشدا الطير على الافنان ميادا ، يغنيها ، وناحا
واذا أفشى هزار سر عطر الفل ياسلمى وباحا
فاعلمي اني روح ، كان يوما ، يعشق الغيد الملاحا
فانشقي العطر ورشي منه نهديك وغني ... واذكريني ! ..

واذا أبصرت أخداني وقد جاؤوا الى الحقل البديع
ينشدون الحب .. والشعر .. وما جادت به كف الربيع
ورأيت الماء ينساب مع الالحان ، في خضر الربوع
يبهر الطرف رؤاها ، وهو يجري بين احضان التلوع
فاذكري صبا شريدا ، روحه تهوى المغاني ، واذكريني ! ..

ورأيت الشط اذ جاء الى الشط العذارى السابحات
فضممن الماء في شوق الى الصدر وقد ضل الهداة
وهفا الرمل ، وجن الشاطيء المسعور ، فارتاع العراة
وسرى ريح الصبا يعبث بالموج ومرت نسمات
فتنهدن من الشوق الى الموج حيارى .. اذكريني ! ..

واذا النعش تهادى سابحا فوق أكف الاصدقاء
وهمى الدمع سخيا ، فوق نعشي ، من عيون الاوفياء
ثم واروا جسدي بين الثنايا ، ومضوا كالغرباء
أمسكي الدمع وغيبي في رباها عن عيون الرقباء
فاسجدي فوق الرمال السمر من رمل الصحارى واذكريني !..

واذا البدر تبدى شاحبا في ظلمة الليل الكئيب
وسرى الصمت على الناس فهم في قبضة الموت الرهيب
وتلفت حواليك فما ابصرت عينا للرقيب
اتركي الدار وسيري في دجى الليل الى الكون الرحيب
وقفي عند ضريحي فاسفحي الدمع الهتون واذكريني !..

واذا جئت الى الغرفة يوما ، فادخليها بجلال
وانظري فيها خيالي فلقد عاش بها يوما خيالي ،
وقفي فيها فقد يرجع رب الشعر ... والسحر الحلال !..
بل فسيري واتركيها .. لن يعود الميت يا بنت الزوال
كل حي سوف يفنى وتظل الذكريات فاذكريني ! ..

حامد السيد

من رابطة الوعي العربي بدير الزور

دراسة نقدية بقلم : خليل الخوري

عبـــــــق

مجموعة شعرية للشاعر حامد حسن

صدرت عن دار الثقافة بدمشق

قصائد حامد حسن عالم من الجمال قائم بذاته .

في عبق ، الكلمات ألوان وروائح واصوات ترى وتشم وتسمع .

ما هي قضية الشاعر ، الكامنة وراء عبق ؟

نبحت وحوش دمي فـدب عقـارب

في كـل جارحـة وفح أفـاع

يا عـاج ياكرز الالوهية ضـج بي

جوعـان جـوع فم وجوع ذراع

... اذا كان لنا ان نعتبر الحاح الشاعر على ابداع دنيوات من الجمال قضية ، فقضية هذه المجموعة الشعرية هي الجمال لا بما هو تصورا ذهنيا تلده المقارنة ، او يعطيه النقيض ، ولا بما هو معنى مجردا فحسب ، وانما بما هو جمال الجمال ، وجمال القبح ، جمال الفوضى ، وجمال الانسجام ، جمال الحب وجمال الحقد ، الجمال في كل جزئي من جزئيات هذا العالم ، وفي كل كلي من كلياته .

ان الشاعر لا يطرح في عبق ــ فيما عدا قصائد قلة تحكي مأساة الشاعر ، وعدا قصيدة او قصيدتين وطنيتين تكلفهما الشاعر ــ لايطرح أية مشكلة .

وعلى اني اكره التعميمات ، الا انني أراني مضطرا ازاء هذه المجموعة بالذات مضطرا الى التعميم لانني عبثا ما حاولت ان اعثر على موضوع تثيره قصائد الشاعر اللهم الا هذا الجمال والا هذا الالحاح عليه وكأنما قلب الشاعر ركب ليكون عبدا وسيدا في آن واحد معا عبدا للجمال ، وسيدا يرتفع فوق المأساة .

من هنا يتبدى لي حامد حسن ــ على كل مايقا[illegible] ــ شاعرا يعيش فوق الاحداث او بعيدا عنها ، ــ عل[illegible] اندفاعه فيها اندفاعا كليا كانسان .

ومن هنا من عدم التزام حامد حسن يتبدى لـ[illegible] حامد حسن اكثر الشعراء التزاما اذا ما اخذناالالتزا[illegible] بمفهومه الشامل ، لا كما قالت به فئة اخطأت فـ[illegible] تفسيره ذات يوم ، او هي اعطته من زاوية وجهـ[illegible] نظرها للالتزام ، لكن بما يريدنا عليه قانون الترا[illegible] الذي يبرهن على صحة الفرضية ، وخطأ الفرضية ف[illegible] آن واحد معا .

ومن التزام حامد حسن جانبا واحدا ومن تبني[illegible] موقفا واحدا ، يحتدم السؤال الآتي على فمنا : او ليس[illegible] حامد حسن منا ، يعيش قضايانا واشواقنا وعذابا[illegible] وطموحنا ، وقلقنا وضياعنا ؟ ثم اوليس حامد حس[illegible] فنانا يشعر بالزمن وبارهاصه عليه وبوطأته وبسرطا[illegible]

يفترس ايامنا افتراس الوحش ، وبمعنى آخر أفمـا يحس حامد حسن مأساة الانسان ويعيشها ؟

فيم اذن لا يقولهـا ، وفيم اذن لا تنعكس فـى شـعره ؟

وعلى سطحية معرفتي بحامد حسن انسانا ومن عمق معرفتي به شاعرا اجوز لنفسي ان اجيب علـى هذا المتزاحم من الاسئلة .

ان حامد حسن يحس بكل ما حولـه ، يعيـه ، يبكي لـه ، لكنه يحس به ويعيه ويبكي له انسانا ، ولا يعالجه فنانا . لايمانه بنظرية في الفن بمجرد ان حاد عنها مرة او مرتين ، اعطانا شعرا يكاد لا يقرأ تمامـا كما فعل نزار قباني يوم دفع بضغط الشارع الى ان يستجيب الى الشارع .

حامد حسن يعي ان الحياة هي هكذا مزيج صاخب ان مع اجمل الورود ، واعذب اصوات التسحارير ، واعمق انعام الموسيقى ، ان مع اروع الحب ، واصفى الهناءات . توجد ابدا الاشواك ، والنعيب ، والعويل والالام والمآسي والجراح . في كل قلب غصة ، وفـي كل نفس ارماض . وحامد حسن يؤمن بانه ليس من مهمه الفنان ان يقول للمآسي كوني اكثر ، وان يعمـق الجراح . وان يغني اليأس والالم . انه يعي كل هـذا ويعيشه ويحضنه ، لكنه لا يعطيه في فنه ، او هـو يعطي الجانب المشرق من الحياة فحسب ، ثم ان حامد حسن ليفضل الف مرة ان يعطي جمالا من ان يحفر مأساة ويقعرها .

لعل في اعطاء الجمال واغفال ما عداه ما فيـه من طبائع النعامة لكن شعار حامد حسن يظل : اقـل مايمكن من الالم للبشرية حتى ولو كنا نعامات .

وما هذا ما كنت احب عليه الشاعر ولكن هـذا ما يحب نفسه عليه ، فليس لي ان اعترض على ما يريد ان يكون وعلى ما يحب نفسه عليه وان كان ذلـك لا يجعلني اؤمن بموقفه غير اني التزمت فيما بينـي وبين نفسي ان اكون موضوعيا ، سواء آمنت بمـا يقول ام لم اؤمن ، وسواء جرفني موقفه ام لم يجرفني وسواء غضب مني ام رضي عني .

يستهل الشاعر مجموعته بهذا البيت :

خلفـت لي مـلء بيتي عبقا
انا لا اعبـد غير العبـق

هذا البيت يمثل في رأيي شعار المجموعـة ، او الخط العام الذي ستدور عليه مجموعة عبق حيث تهوم القصائد في عالم دافيء من الظـلال والالوان والروائح والاصوات :

يقول من قصيدة « جارة » :

غرقت بالطيب كفي عندما
لمستهـا ، وفمـي بالالـق

وارى مرود جفنيهـا على
جانب الشـباك نصف المغلق

وعلـى البلـور من انفاسها
لهثـات الشمس فوق المشرق

وعلى المكتب كوبـا ابيضـا
وبـه أضمومـة من حبـق

ذبلت أوراقهـا مـن ظمأ
ان قلبـي بعض هـذا الورق

أجل ان قلبه بعض هذا الورق ، بعض هذه الاشياء في الغرفة ، تهجرها وتهجره في ساعة غفلة ، جارة لعلها في الجارات وحيدة ، تستطيع ان تستل مـن الشاعر مثل هذا الغناء الرائع في جـارة . جاره مأساة فردية ، مأساة الشاعر ، لكنها لا تجرفه او هي فوق انها لا تجرفه ، تجعله ابدا يكبر عليها ، فلا يذرف دمعة ، ولا يريق كبرياه . ان كل ما تستل منه هـو هذه الشكوى الصامتة ، الخرسـاء ينثرهـا دون ان يتأذى منها كبرياء الفنان ولا عنفـوان الانسـان في حامـد :

ان قلبـي بعض هذا الورق .

يا للقلب التريك يذبل كما تذبل اوراق الحبق ، خلفتها على ظمـأه جارة الشاعر . كما خلفته .

وتأتي قصيدة « خطايا »

فماذا في «خطايا» ؟ امتزاج عميق بين العبث الوجداني الهادىء المتأمل ، يندغم اندغاما بروعـة مرئيات الطبيعة ، ويتسامى لينسكب في نورانيـة الجمال وشفافية روح الشاعر ، فاذا هو عالم قـائم من السـنا .

جلوتـك في اقـداس فكري الهـة
ألمت بأوهـامي ونجوى سرائري

ودنيا مـن الاطياب والحب والمنى
تلونهـا أسـمى خيالات شاعر

وعلى الطابع الكلاسيكي الذي ينتظم كل قصائد المجموعة فان ما يجعلنا نضع حامد حسن بين الحديثين المجددين هو محاولته ابدا ان يضمن شعره مضمونات حديثة ، وان يصفي هذا الشعر بوعي عميق تصفية لا نجدها الا في شعر شعراء المدرسة اللبنانية الحديثة من امثال امين نخلة وسعيد عقل .

ولئن كان من خصائص الكلاسيكية هذا الاداء المباشر للمعاني بألفاظها فان حامد حسن يحاول ابدا ان يستعمل الرمز في شعره ، وان يتحول عن التأدية المباشرة الى الاخذ بالصورة او بظلها محولا نهر الواقع الى مجرى الفن ، دون ان يتعثر . يقول في قصيدة « درب » :

« ألمت » وعندي فوق ما يمنح الحب
فخف لها يا قلب يا كوخ يا درب

فرشت لها بيتين كوخي واضلعي
فتاها وجنا واستخفهما العجب

رفعتهما لله والحب معبدا
وفي غير بيت الله لا يعبد الرب

هذا شعر كلاسيكي لكنما أية لفظة مما يسميه الناس « الفاظا شعرية » واسميه أنا الفاظا مستهلكة ، كلاسيكية ، في ما عدا لفظة « ألمت » أيما لفظة لم تهرب من الشاعر لتقبع في تضاعيف الابيات ، واية صورة مكرورة لم تتسرب فتفرض نفسها هنا .

وعلى ولوع الشاعر ولوعا ، ليس بغريب ، في تجزيء الصورة الشعرية فاننا نلمح ان الرمز لاينقطع مهما تمادى في تجزيء الصور ، ومهما ركب هذا المتزلق الوعر في التجزئة الذي لا ينجو من شره فحول فحول الشعر .

فلنسمعه يقول في قصيدة « موعد » :
من عناد الدل في جفنيك من لفت ازورار

. . . .

. . . .

فاسألي عينيك عن أسرار أسرار البحار
واسمعي صوت احتراق الصبر في نار انتظاري
أنا من دنيا وراء الغيب عذراء الستار
الضحى والحب في دربي اليها والدراري
يتشهى الطهر والعطر غواياتي وعاري
واذا ما انحط كبر الدهر عن زهو انتصاري
سوف ألقاك وراء الغيب خلف الانتظار

* * *

يلتقي الشاعر في بعض مواضيعه مع نزار قباني (راجع قصيدتي سحر وقريتي تحلم في المجموعه) وقصيدتي نزار الشقيقتان ، وفي ثغرها ابتهال) كما يلتقي الشاعر بالياس ابي شبكه في بعض هذه المواضيع كما في قصيدة « حلم رهيب » التي يشبه موضوعها الى حد بعيد « سدوم » لابي شبكه . لكنه على ذلك يطل من شخصيته على مكنه ، فلا يضيع ، وتظل له زاويته ، التي يطل منها ، ولقطته التي ينفرد بها ، لا يضيعها ، ولا ينساها .

ثم ان حامد حسن مريض بحس اللفظة ، حساس حساسية عميقة بها ، وبمعرفه مدلولها ، وبمكانها او فلنقل بمكانها من التاج ، حيث تجب اللؤلؤة لا يضع حبه مرجان ، وحيث تجب الزمردة لا يضع الياقوته ، البنفسج زهر يفتح في الشتاء فلا تجده في قصيدة تتحدث عن الصيف ، والقرنفل صيفي فلا مكان له بين عدة الشتاء . هكذا كان من امر الشاعر واللفظة في قصيدة « أمرىء القيس والعذارى » قصيده موضوعها من مواضيع البداوة ، مأخوذة عن معلقة امرىء القيس ، يوم باكر القوارير في دارة جلجل فمادا فعل حامد حسن لا كتب قصيدته بلغة البداوة ثم حضرها فلم يتعنت ، ولم يعم ، فأطللنا عليها ، دون ان نلمح فيها كلمات من مثل «بهنكة» «سنجل» ألخ .

ثم ان حامد حسن لا ينسى روعة الضبابيه احيانا في الشعر ، فلا تفلت منه ، فيلح عليها في بعض قصائده الحاحا جميلا يخلق لنا هذا الجو الذي يحجب عنا نصف المرئيات ويبقي لنا نصفها في مثل عملية اغراء مغرقة في الاغراء .

« في عمق عينيك الزمان ودونه
تتزاحم الرغبات والاسرار »

و :

سأعود من خلف الغيوب يحف بي
للشاطئين حنين كل شراع
سأعود نيسان الحياة وزهوها
وعطورها ورفيف كل شراع .

ونغرق في هذا الضباب ، ونشعر نحن بمثل هذا الانزلاق عن أمكنتنا ، ونشعر اننا نسير ، والضباب هو الذي يسير ، ثم ما نلبث ان ننفصل عن الواقع ونشعر بنشوة ، وبشيء من خدر خفيف كمثل الذي يأخذ المرء بعد كأس من خمر عتيقة معتقة جيدة .

راجع (موت وبعث وانطلاق) .

كل قصائد حامد حسن تنبي عن تحسسه العميق بضرورة التركيب الهندسي للشكل ، وعن قدرته على التصرف ببنائيه القصيدة قدرة فائقة .

ثم ان اكثر قصائد حامد حسن تنبيء عن ان في اعماقه ابدا رغبة عارمة في الفلت من الترابية والهروب نحو عالم آخر ، وانتظارا لما سيحمل المجهول يقول في « انطلاق » .

تعالي الى المائج الازرق .
يهدهدنا الموج في الزورق
تعالي وذوبي على « مرشفي »
نعيما فلولاي لم تخلقي
أضعتك يوم استهل الزمان
وشب وشاب ولم نلتق
وراقبت كل دروب الشموس
وطال انتظاري ولم تشرقي

ومن قصيدة «موعد» يطل علينا تصوره لعالم ثان، يحاول ابدا ان يستشعر دفئه ، ووجوده :

« سوف ألقاك وراء الغيب خلف الانتظار »

يقع حامد حسن في كثير من مساقط الشعر الكلاسيكي من ذلك مثلا اضطراره الى كلمات يفرضها الوزن ، رغم ان المعنى يستقيم دونها . ومن ذلك ارداف المترادفات دون داع . ومن ذلك هذا التكرار الرهيب من الصفات التي لا تنتهي الا حين تصطدم بكلمة القافية :

نهد غوي الاماني ، مترف ، بطر
مموج ، مشرئب ، أهوج ، قلق

* * *

وهكذا من :

« يا بيتنا في حنوة الوادي
كيف الصغار الزغب اولادي »

الى :

« كوخي تراقص في العراء على أكف الزمهرير »

ومن :

« يغفو على الشبابة السكرى على ثغو الخراف »

الى :

« يغرقن بالعطر الرهيف
اذا عبرن على الرصيف »

الى المهوى السحيق الذي يروي قصة عن خيال الخطايا ، وعن حلم اضاعته عين الاله فالتقطته مرآة الشاعر . الى الصياغة المورقة في قصيدة «بدعة» الى « بسمة نائحة » يرتمي اليأس منها في عرق الكلمات ، الى « سكر » الموغلة في كلاسيكيتها ، الى « تدليل » في أروع اروع ابياتها :

« ولهاث الشموس ألهب ذيل الافق
فاحمر ، فالتظى فتألق »

نعيش مع حامد حسن في ديوات من الجمال ترد الينا تحسسنا بالصفاء العميق الضائع بين قسوة الحضارة وترابيتها .

ان المأخذ الوحيد على حامد حسن هو ان جناحه القوي الطليق ، المحلق في مواضيعه الجمالية ، يهن . فيتعثر ، فيلامس التراب حين يكتب الشعر القومي ، وان لدي لذلك تعليلا ، قد اقوله على صورة بحث شامل في يوم آت . رغم انه يتبدى لي ان في وسع حامد حسن ان يظل مخلصا لنفسه ولوطنه حتى ولو لم يتكلف كتابة هذا اللون من الشعر ، وهذا رأيي الخاص لان من يغني جمال بلده ، ارضه وسماءه وهواءه ، برائع الشعر ، هو عندي جندي ، كالجندي الآخر تماما .

حامد حسن في حساب الشعر كبير كبير ، صوت من أعمق وادفأ واحلى ما سمعنا .

مزيدا من هذه المعتقة الجيدة . ياشاعرا جيدا .

خليل الخوري

صـــــلاة للالم

شعر : شكري هلال

ودعت حبـك وانطفـأ شـغفي وذرفت اثـرك دمعـة الاسـف
لـن تسمعي نجـواي عاطـرة مقطوفـة من روضـة اللهف
لا لـن اعـود ، فليس تأسـرني دنيـا مـن الاضـواء والترف
أقسـمت ان انسـاك فانتحـري بغـرورك المشـؤوم والصلف

* * *

أنـا لـن احرق بعد اعصابي في نـار حب فاقـد الامـل
حسبي مـن الحب الجراح ومـا لاقيـت فـي ايامنـا الاول
ليـل من الاحـزان حبـك او شـيطان بؤس خانـق غزلـي
وأراك فـالآلام تأكلنـي والعمـر بيـن مخالب الملل

* * *

قلبـي تنبـه من ضـلالته ليضمـه الحرمـان والصمت
وتعـوده الـذكرى تعزيـه ونسيجهـا الآلام والمقـت
يطوي على ندم ليـاليـه ويهـزه لغرامـه الصـوت
والحب قـد جفت سـواقيه وعهـوده قـد لفهـا الموت

* * *

هـذا أنـا كأسـي تسـاهرني ولفـائفي والبـدر والوتـر
نفسـي تذوب على أغانيـه ان رجعت أصـداءهـا الـذكر
الحب مهـزلة بليت بهـا قـد سـاقها يلهـو بي القدر
مصـت دمي آلامـه ، وشكت روحي القيـود وهـدني الضجر

* * *

هـذا الوداع غـدا سأدفنه والذكـريات بسـاحة العـدم
ويجيئني النسـيان يمسح عن وجهي ظـلال اليـأس والسـأم
ان حطمـت روحي كآبتـه وسقامـه ولواعـج النـدم
فغـدا وآلامي أترجمهـا شـعرا يصـلي الكون للالـم

* * *

ليـل الهـوى والحزن آن له أن ينجلي والفجـر يسعدني
لا لـن أطاطـيء هامتـي ابـدا للحب ، لـن اغفـو على الشجن
ولي الصبا ، ما زال لي امـل فغدي لعرش المجد يرفعني
كبـر الخلود متـوجي وغـدا يطـوي الجمال وانت في الكفن

نزيل تدمر شكري هلال

السنونو الابيض

بقلم : يوردان يوفكوف

كان موكنين ، وهو يدعو كلابه اليه ، على يقين بأن هذا الفلاح الغريب الذي يتجه اليه لم يأت الا لان هناك سببا يدعوه لذلك . دعا كلابه مرة اخرى ثم راح يتفحص الفلاح : كان يبدو من سترته الحمراء أنه آت من اقليم « ديلي اورمان » . كان ذا جثة ضخمة وقوية ولكن فقره الموروث كان ظاهرا من عينيه ومن قميصه ونطاقه المرقعين ترقيعا باديا للعيان . كان يسير حافي القدمين . لاول وهلة كان مظهره يوحي بالقوة ولكن موكنين فهم لتوه انه امام واحد من أولئك الرجال الطيبي القلب الذين كما يقال عادة ، يتراجعون امام نملة .

ألقى الفلاح التحية وفاه ببضع كلمات مألوفة سائلا عن الصحة الا ان وجهه كان يوحي بأن ذهنه مشغول بأمور اخرى وبمتاعب جدية .

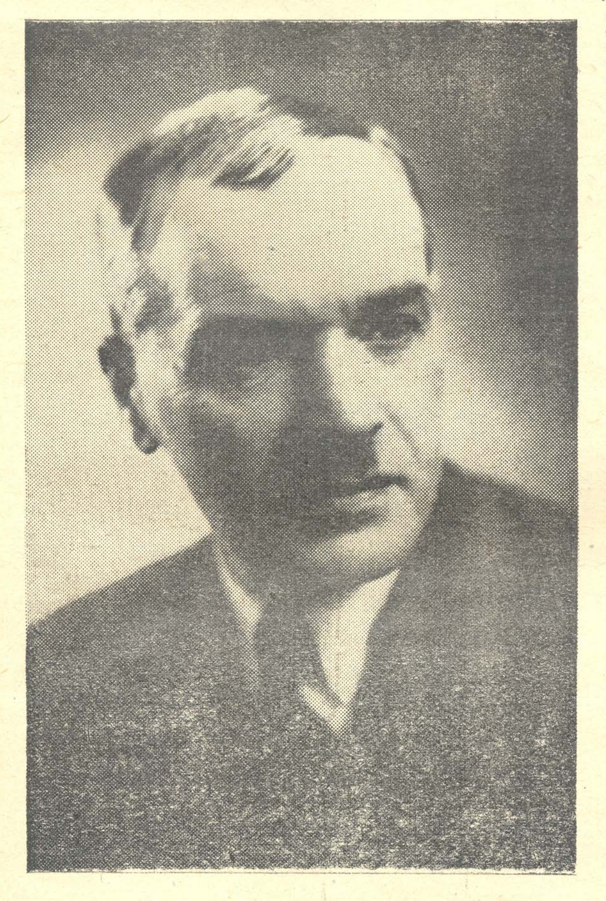
نظر امامه ثم سأل وهو يومي بيديه ان كانت قرية مانرجيلاري لا زالت بعيدة . وبعد ان اجابه على سؤاله لاحظ موكنين في الناحية الاخرى من الطريق عربة يجرها حصان . كانت ولا شك تخص الفلاح الذي تركها ليستعلم منه عن الطريق . وفي العربة كانت هناك امرأة منكبة على نفسها ويداها مختبئتان في طيات ثيابها . كما ان ربطة رأسها منحلة ومدلاة على كتفيها . صحيح ان الطقس لم يكن باردا ولكن موكنين يعرف ايضا بأن النساء يفككن شعورهن ليس فقط وقت الحر ولكن ايضا عندما يكن في مأزق ما . وفي آخر العربة جلست امرأة اخرى انحل من الاولى وهي على ما يبدو فتاة . مستلقية على جنبها ومغطاة بغطاء ورأسها موضوع فوق مخدة عتيقة ذات لون قاتم . كانت تنظر جنبا ووجهها غير ظاهر .

وسأل موكنين :

ـ هل لديك احد مريض ؟

ـ نعم ان ابنتي هي المريضة .

ودار الفلاح بنظره نحو الخراف الجالسة تحت



يوردان يوفكوف

الشمس ولكنه لم يكن يراها فان عينيه لم تكن لتوحي الا بالانقباض والقلق .

ـ لو انك تعلم مدى همنا ، ولكنه من المستحسن الا اتكلم عنه !

فسأله موكنين :

ـ ان لم تكن من هذه البلاد ، فمن اين اتيت ؟

فأجابه الفلاح :

من قريـــة كيتشكوك احمد وهــي تـدعى الآن ناديدجا . انها هناك بالقرب من الصخرة . لقـد اتيت سابقـا الى هنا اني اتنقل من قريـة لقريـة لابيع ترابا يزيل البقع . يوجد لدينا انـواع جيـدة والنسوة تشتري منه بكثرة . وعندما اصل البحـر اشتري سمكا او عنبا او أي شــيء اراه والحمد لله فنحن نعيش كيفما اتفق عيشة لابأس بها لولا ان حدث لنا ذاك الحادث ...

وجلس على الارض واخرج محفظة التبغ مــن جيبه وراح يلف سيجارة وجلس موكنين الى جواره ورأى اصابع الرجل الخشنة وهي تضطرب .

وتابع الرجل حديثه قائلا :

ـ ان حظنا تعيس بالنسبة للاطفال . فقد مـات ثلاثة وهم لايزالون صغارا ولم يبق لنا الا هذه . ودار بنظره نحو العربة ثم قال : لقد سهرنا عليها كما نسهر على اعيننا . وقد حرمت نفسي من لقمتي لكي اتمكن من كسائها كبقية الفتيات ولكي لا تتألم وهي تراهـن . وسمح لنا الله بالاحتفاظ بها حتى الآن . ولكنها منذ بعض الوقت راح لونها يبهت ، واخذت بالنحول دون ان تشتكي من مرض ما . وقد سمعتها تقول لامهــا بأنها تتألم وهي ترى رفيقاتها وقد تزوجن وهي لازالت عزباء . فقلت لها :

ـ لا تبتئسي يا فتاتي فان دورك ايضا سـيأتي . ماذا يفيد النظر الى الاخريات فانهن غنيات . وشباب اليوم يبحثن عن الغنيات . ولكنك ستتزوجين ايضا فلا تخافي فانك لم تصبحي عانسا بعد ، بحق الله !

فسأله موكنين :

ـ وكم بلغت من العمر ؟

ـ انها تقترب من العشرين ، وسـتبلغ العشرين في عيد العذراء .

ـ انها فتية اذن .

ـ طبيعي انها فتية .

وسكت الفلاح ونظر من جديد الى الخراف دون أن يراها . وارتفع بالقرب من المكان وسط الجـو الساخن صوت صرصار حاد .

ـ وهذا الصيف رجتني ان ادعها تذهب للحصاد مع بقية الفتيات . اننا فقراء ونحتاج لبعض المـال ولكني لم ارد ان ادعها تذهب نظرا لصحتها المتدهورة ولكنها اصرت ان اسمح لها بالذهاب مع بقية الفتيـات فرضخت لرغبتها . ولم أكن هناك لاشاهد ما حدث . فقد كانت الفتيات مستلقيات في الحقول وانا لا أعلم الا ما حدثتني به . ومرة ، بعد ان حصدن كل النهار ، تعشين في المســاء وغنين ومرحـن ثم نمن . ونامت نونكا ـ وهذا هو اسم ابنتي ـ كالاخريات . وحدثتني عن ذلك قائلة : « لقـد استلقيت يـا ابت وتغطيت ثم غفوت . وفجأة احسست بشيء ثقيل وبارد فـوق صدري ، وفتحت عيني فوجدت ثعبانا » .

ـ كفى هراء !

ـ نعم ! ثعبان ، وقد التف حول نفسه ونام فوق صدرها . وصرخت ابنتي ورغم خوفهـا امسـكت بالثعبان وقذفت به بعيدا .

ـ اذن فقد قذفته . ان هذا كثيرا ما يحدث ايام الحصاد . وقد سمعت ان حية دخلت في فم امرأة . ولكن هل لدغها ؟ انه لم يلدغها . اليس كذلك ؟

ـ كلا انه لم يلدغها فقد كان فوق صدرها فأمسكته وقذفته بعيدا . هذا ماقالته لي . فهل كانت تحلـم أم كانت تلك هي الحقيقة . لست ادري . الا انه منذ ذلك الحين ساءت احوالها . وراحت ابنتي تذبـل كالغصن . انها تشعر بألم في صدرها وهي لا تفتـأ تردد بأنها تتألم في المكان الذي كـان الثعبان يجلس فوقــه .

فقال موكنين وقد اخذته الدهشة :

ـ يا لهـا من قصـة . واين تأخذهـا الآن ؟ ألى الطبيـب ؟

ـ هه ! الاطباء ! لقد زرنا عشرات منهم حتى الآن . اني آخذها الآن ... كيف اشرح لك ... لو كـان الامر يتعلق بي لما صدقت ولـكنك تعلـم كيف هـن النسـاء ... وبعد فهي مريضة وهي ابنتي ...

وتهدج صوته وسكت وغاب نظره في الافق وهو يمسح شاربه وذقنه الخشنة التي بدأ الشيب يخرطها

وأدرك موكانين ان هذه الشعرات البيض ما أوجدها الا الهم والكدر .

وتابع الفلاح حديثه :

ـ وهاك المساء ، عاد بعض اهل الضيعة من الحقول حيث كانوا يعملون وقد تحدثوا في أمور كثيرة ... لست ادري ... انهم بدون هم ومن المحتمل انهم كانوا يمزحون ... وفي هذه الاثناء أسرعت ستوينتزا الينا ، وهي امرأة تثرثر بلا انقطاع وتعلم كل شيء .. وهتفت من الباب :

ـ غونتشو ! انك لمحظوظ وكذلك نونكا .

فسألها :

ـ ولكن ما هنالك ؟

لقد عاد نقولا سيديروف من الحقول وهم يقولون بأنه ظهر في مانرجيلاري ... ظهر سنونو ابيض كالثلج .

ـ وما الخطب في ذلك ؟

ـ ألا تعلم ان من يرى سنونو ابيض يشفى للحال من أي مرض كان . السنونو الابيض لا يظهر الا مرة كل مائة سنة . لا يجب ان تنتظر ياغونتشو . خذ نونكا الى هناك !

ولم استطع ان افعل غير ذلك . فقد اخذت الفتاة بالبكاء وكذلك امها . وها نحن هنا .

وصاح موكانين :

ـ ولكن هل يعقل ذلك ؟ واين هو ذاك السنونو ؟

ـ لقد قلت لك . فقد ظهر في مارجيلاري .

ـ أقلت بأنه ابيض ؟

ـ نعم ناصع البياض .

والقى موكانين نظرة دهشة نحو الطريق . فقد كان يجلس كل يوم في هذا المكان مع خرافه . وخيل اليه بأنه لم يسبق له ان شاهد ذاك العدد الكبير من السنونو الذي يقف فوق الخطوط التلغرافية . لم يكن ذلك غريبا على كل حال . اذ ان عيد الصعود بدأ يقترب . وفي هذه الفترة تجتمع افراد السنونو والقلق لتهاجر الى المناطق الحارة . لقد كان الشريط التلغرافي ينثني تحت ثقل ذاك العدد الذي لا يحصى من السنونو المصطف كحبات المسبحة . عدد كبير من السنونو ... ولكنهم كلهم سود .

وقال الفلاح وقد استرد رباطة جأشه :

ـ هذا هو السبب الذي من اجله اتيت الى هنا . وعندما رأيتك قلت في نفسي انك ربما رأيته اوسمعت عنه ...

ـ كلا يا أخ . سنونو ابيض اني لم ار بحياتي امرا كهذا ولم اسمع به .

وشعر موكانين بأنه سيثبط عزيمة اولئك القوم فقال للرجل :

ـ ولكن من المحتمل جدا ان يوجد شيء من ذلك . نعم ان ذلك ممكن . توجد هنالك ثيران بيضاء وفئران بيضاء وغربان بيضاء . فلماذا لا يوجد سنونو ابيض . وبما ان الناس يتكلمون عن هذا السنونو فانه يجب ان يكون هناك شيء من هذا القبيل ....

فتنهد الفلاح وقال :

ـ من يدري ؟ اني لا أومن بهذه الامور ولكنك تعرف النساء ... وقام ليذهب ، فقام معه موكانين متأثرا ليرافقه وليرى الفتاة . وعندما اقتربا من الطريق ، راحت الام وهي امرأة شاحبة اللون ومنهوكة من اتعاب الحياة ، تتحرى وجه زوجها من بعيد لترى ما يحمله من اخبار . وبقيت الفتاة مستلقية على جنبها تنظر الى اسراب السنونو وهي تتأرجح على الاسلاك .

وقال الفلاح مخاطبا زوجته :

ـ لقد قال هذا الرجل بأن القرية لم تعد بعيدة . واستدارت الفتاة عندما سمعت صوته . لقد كانت نحيلة وجسمها الذي يتآكله المرض لا يكاد يظهر تحت الغطاء الذي فوقها وفي وجهها الذي يشبه الشمع لم تعد هناك من انوار الشباب الا عينان تلمعان . وراحت تنتقل بنظرها بين والدها وموكانين .

وقال الاب مخاطبا ابنته وهو يستشهد بموكانين :

ـ نونكا ! ان هذا الرجل قد رأى السنونو الابيض انه هناك في القرية وارجو ان نراه نحن ايضا !

فقالت الفتاة وقد ومضت عيناها :

ـ وهل سنراها نحن ايضا يا عماه ؟

واحس موكانين بشيء في حلقه وبغشاوة امام عينيه وقال وهو يحاول ان يرفع صوته :

ـ سترينه يا صغيرتي . وبما اني رأيته انا فلما لا ترينه انت ؟ لقد رأيته بعيني ... سنونو ناصع البياض . وانت سترينه . سيمنحك الله هذه النعمة ،

الى عابرة !..

شعر : محمود نعرة

أسرى بي الفكر .. حتى غبت عن نظري — الى مزارك .. يحدو ركبي الطرب !
ألقاك في لمعة النجوى ! ويسكرني — من العناقيد .. ما أفضى له العنب !
كم هيج الليل .. من آهاتنا .. نغم — وأيقظ الفجر .. من أحلامنا شغب !
ونازع الورد نعماه .. وبهجته — شبابنا وأثار الانجم اللعب !
للنهد تحت يدي .. خفق وزمجرة — والردف يستوقف الدنيا ويضطرب
وخصرك الحلو رقراق وملتمع — يكاد من لطفه يجري وينسكب !
والساق غصن الضحى .. صبت على مهل — لفاء .. يخفق في بلورها .. الذهب
مناعم .. تفنج اللذات .. عارية — على رؤاها .. ولكن فاتني السبب !

* * *

يا عفو صحتك الزهراء عن وهني — ما ظل في هيكلي ماء .. ولا لهب !
فجردي منجل الهجران .. واحتطبي — من جثتي .. انها العيدان .. والخشب !

محمود نصرة ـ طرطوس

ستربنه وستبرئين ياصغيرتي فلا تخشي شيئا !...

وغطت الام عينيها واجهشت بالبكاء . وسعل الرجل الضخم ليخفي تأثره وامسك برسن حصانه ومضى في طريقه .

وهتف موكانين

ـ حظا سعيدا ! ان القرية باتت قريبة . ماعليكم الا ان تتبعوا الاسلاك التلغرافية .

وبقي طويلا في منتصف الطريق يتبع العربة بنظره . وراح ينظر تارة بالام ومنديلها الاسود وتارة بالفتاة المستلقية بجنبها وتارة بالفلاح ذي القامة العالية الذي يسير بجنب الدابة وهو يجرها من الرسن وطورا بأسراب السنونو التي تطير فوقهم ثم تعود لتقف فوق أسلاك التلغراف .

وعاد موكانين الى مكانه بالقرب من خرافه وهو يفكر . كان يصنع زرابيلا من جلد حصان . وراح يردد بينه وبين نفسه : سنونو ابيض .. ولكن هل يوجد شيء مثل هذا ... ؟

وأحس بثقل فوق صدره وبشيء يهيج احاسيسه . ثم ترك المخرز يسقط من يده وصاح وهو ينظر الى السماء :

ـ يارب الرحمة ، كم من العذاب فوق هذه الارض !

وعاد يتبع بنظره العربة وهي تبتعد .

شقــــــــــراء

شقراء .. يا وهج الضحى لملمي — مفاتن الفجر ، وزهـو الاصيــــل
في خصـل الشـعر التي تنثني — شـفافة ، يخطف سحر جميـــل
وتحتها يهتف بـدر الـــدجى — وحولهـا هب النسـيم العليـل

والاملـد المعطـاف ، يا حسنه !! — يا حسنه اذ ينثني ، او يميـــل
شـلال اشـعاع كريم الســنا — يا حسن شـلالي كريم بخيل
صلب على الاكبـاد ، لكنـه — يكـاد من رقتــه ان يسيل
سـماحة الحسن به فالتمس — حرارة الحب وبرد الغليـــل

واحـور تلمـع فيـه المنى — منسـق الحســن ، مريض كحيل
رنـا الى قلبي ، فحوطتــــه — باسم الهــوى ، من كل قال وقيل
غازلــه طرفي بروح الهـدى — فجن حتى ضـل فيـه السبيـل
ولست أدري أي سحر بـــه — أوقع قلبي بالعريض الطويـل

وموسم في الثغر لـم يجنــه — عند ((البثينات)) الحوالي ((جميل))
قارورة للطيـب مسـفوحـة — يا روعة الطيب السـفيح البليل
تمثـل الورد بـــه ... فارتمى — على الاضـاميم ، صريعـا قتيـل
وقال للورد : ارتشف مــن دمي — وانهـل من المعذوب السلسبيل
فانتعش الـورد بـــه ، وانحنى — يلثمـه ، وهـو العزيز الذليــل

احمد علي حسن

العوامل الجوهرية لنجاح الحركة التعاونية

بقلم : الدكتور عدنان شومان

اذا اعتبرنا بناء تاريخ الحركة التعاونية الجديثة هو عام ١٨٤٤ يكون قد مضى على هذه الحركة حوالى (١١٦)مائة وستة عشر عاما اثبت خلالها عن جدارة الاسلوب التعاوني في معالجة مشاكل المجتمع في مختلف البيئات وبظل مختلف الانظمة وقد وصل النظام التعاوني الى كل مكان ونجح بين المجموعات المتقدمة والمتأخرة على السواء . لقدزاد عدد الجمعيات التعاونية في افريقيا الى الضعف وعدد المستفيدين منها الى ثلاثة اضعاف كمازادفي آسياعدد المستفيدين منها الى اربعة اضعاف خلال العشرة اعوام الماضية ويبلغ عدد المستفيدين من الجمعيات التعاونية في العالم اليوم مايقرب من ٦٠٠ مليون شخص اي مايعادل ١ على ٥ من سكان العالم .

اذا كانت الحركة التعاونية قد وصلت الى ماوصلت اليه من التقدم والنجاح فما هي العوامل الجوهرية التي ساعدت على ذلك وكيف يمكن ايجادها في بلادنا

ان نجاح الجركة التعاونية يقتضي تهيئة الاسباب لخلق حركة تعاونية ناجحة .
والوسائل الآتية :

١ ـ برنامج توجيهي لتثقيف الافراد ونشر الوعي التعاوني بين صفوفهم .

٢ ـ خلق روح المحبة والاعتماد على النفس والثقة المتبادلة ومحاربة الفردية والانانية والاتكالية .

٣ ـ ايجاد مصدر لتمويل المشاريع التعاونية .

٤ ـ ايجاد تشريع او تنظيم يكفل حماية وتنظيم الدولة للمؤسسات التعاونية .

وسنبحث كل من هذه الامور على حدة لنبين دورها في تقدم ونجاح الحركة التعاونية .

١ ـ تثقيف الاعضاء ونشر الوعي التعاوني

تعتبر الجركة التعاونية حركة ناشئة في بلادنا وخاصة في الاقليم السوري لذا كان من الضروري تنظيم حركة واسعة لشرح هذه الفكرة الجديدة وتبيان فوائدها وحسناتها لافراد الشعب لخلق الوعي التعاوني بين صفوفهم وارشادهم الى اسلوب جديد لحل مشاكلهم بانفسهم ، اذ ان بدون قناعة افراد الشعب وتبنيه الاسلوب التعاوني يستحيل تكوين حركة تعاونية ناجحة . ولهذا كان تأسيس الجركة التعاونية يحتاج الى شرح لتتوضح فيه الفكرة التعاونية وتختمر في رؤوس الافراد حتى اذا ما اقدموا على تأسيس جمعياتهم التعاونية وتحمسوا لها ساروا في الطريق السليم للوصول بهذه الحركة الى التقدم والازدهار وهنا يظهر دور الدولة في خلق هذا الوعي وتكوينه وعليها يقع عبء ايضاح الفكرة التعاونية واعطائها الدفعة الاولى كي تسير وتتسارع في سيرها لتصبح بعدها حركة شعبية قائمة بذاتها .

لقد قامت بهذه الدفعة الاولى للحركة التعاونية في الدانمارك مؤسسات ثقافية تدعى مدارس الشعب وفي السويد مؤسسة ثقافية تدعى « البالرفو » وفي

المانيا مؤسسات مصرفية تدعى تعاونيات رايفايزن ، وفي انكلترا حركة المصلحين الاجتماعيين امثال روبرت اولبن ووليام كينج وغيرهم . وفي فرنسا مؤسسة ثقافية اجتماعية تدعى مدرسة تيم .

اما في بلادنا فاننا بحاجة لان نسير بسرعة وبسرعة فائقة كي نلحق ركب الحركة التعاونية التي قطعت مئة وخمسة عشر عاما قبلنا . لهذا كان على الدولة ان تقوم بدور المحرك الاول وتعطي الدفعة الاولى للحركة التعاونية . وهذا ما حصل فعلا في الجمهورية العربية المتحدة اذ تقوم الدولة بهذا الدور وتعلن بانها تخطط وتعمل على خلق المجتمع الاشتراكي الديموقراطي التعاوني .

٢ ـ روح المحبة والاعتماد على النفس

لتصبح حركات شعبية تنمي الروح الجماعية وروح الاعتماد على النفس وروح المساعدة المتبادلة لان الروح الانانية الفردية لاتنتج سوى التفرقة والحقد والضعف.

واذا لم توجد روح الاعتماد على النفس والثقة المتبادلة بين الافراد الذين يريدون تأليف جمعية لايمكن لهذه الجمعية ان تعيش وتنتج لهذا كان لزاما على كل حركة تعاونية ان تعمل لخلق هذه الروح وتنميتها باستمرار بجميع الوسائل الممكنة .

٣ ـ ايجاد مصدر لتمويل المشاريع التعاونية :

ان التمويل ركنا اساسيا من اركان الانتاج وبدونه يستحيل القيام باي مشروع اقتصادي . واذا علمنا بان المؤسسات التعاونية هي مؤسسات اقتصادية تعمل على توفير الخدمات لاعضائها كان لزاما على الحركة التعاونية ان يكون لها مصدر يمول مشاريعها. ففي اكثر الدول التي ازدهرت فيها الحركة التعاونية يوجد مصرف تعاوني يمول الجمعيات التعاونية ويمدها بالقروض اللازمة لتنفيذ مشاريعها .

ويعتبر المصرف التعاوني اواي مصرف يمد الحركة التعاونية بالقروض اللازمة من اهم العوامل الضرورية لنجاح الحركة التعاونية . لذا فقد عدل قانون المصرف الزراعي في الاقليم السوري ليستطيع تلبية حاجات الجمعيات التعاونية الى القروض اللازمة كما ان هناك تفكير جدي لتأسيس مصرف تعاوني يعمل على دعم وتمويل الجمعيات التعاونية على اختلاف انواعها .

٤ ـ التشريع التعاوني

لحماية الحركة التعاونية وتنظيم الجمعيات التعاونية كان من الضروري اصدار التشريعات التي تكفل للحركة التعاونية النجاح والتقدم وقد صدر في الجمهورية العربية المتحدة قانون موحد للتعاون كما صدر قانون الاصلاح الزراعي للاقليم السوري الذي ينظم شؤون الجمعيات التعاونية للاصلاح الزراعي . وقانون المصرف الزراعي الجديد ليكون مصدر تمويل للحركة التعاونية .

ان هذه التشريعات الثلاثة تعتبر اولى ثمرات الوحدة في سبيل خلق مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني .

هذا وان بعض البلاد كالدانمارك والسويد والنروج لاتعتمد الحركة التعاونية فيها على تشريع معين بل تقوم على تنظيم امورها بنفسها بواسطة هيئاتها التعاونية العليا التي شكلتها الجمعيات التعاونية في تلك البلاد منذ زمن طويل . غير انه في بلاد دور التطور والنمو كبلادنا تحتاج الحركة التعاونية كما قلنا الى دعم وتوجيه من قبل الدولة وخاصة في المرحلة الاولى من نموها وتطورها . لهذا كان لزاما على الدولة ان تصدر التشريعات الثلاثة الآنفة الذكر لتهيئة الجو القانوني اللازم لحماية الحركة التعاونية ورعايتها وتشجيعها .

هذه هي العوامل الجوهرية لنجاح الحركة التعاونية وبايجاد هذه العوامل تستطيع الحركة التعاونية ان تنمو وتزدهر وتساهم في خدمة مصالح الشعب .

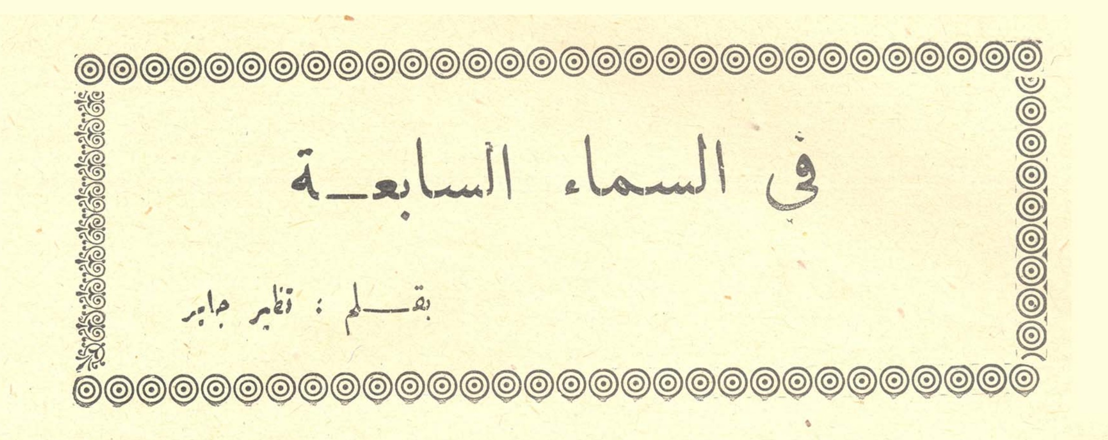
توبـــــة قلب

تـاب المتيـم فاسـتراح ... مـذ تـاب عـن عشـق المـلاح
هـدأت بـه هـوج العـواصف ... وانتهـى غضـب الريـاح
اليـوم فـك قيـوده ... اليـوم رفرف للصبـاح
ليطـير كالعصفـور في ... الاجـواء مبسـوط الجنـاح
ليقـول احرقـت الهـوى ... الدا مـي وجففـت الجـراح
ألقـى السـلاح وراح يقسـم : لـن يعـود الى السـلاح

* * *

لا لـن يعيـد زمـانـه ... بهـوى يعيـد هـوانه
دفـن الحنـان غـداة انكـر ... مـن أحـب حنـانـه
نفـض الاسـى ومضـى ... يرتـل للمنـى ألحـانه
مـا ذا رأى في صـاحب ... كـان التمنـع شانه ؟ ...
يـا ذل قلبـي في الهوى ... هـد الهـوى اركـانه
صـان العهـود وعهـده ... مـا من محب صـانه

خبب ـ نواف دهم



في السماء السابعة

بقلم : نظير جابر

أغمضت عيني في المساء بعد ان شعرت بثقل أجفاني المجهدة من التفرس في سطور دفاتر التعبير الستين التي كان علي تسليمها للتلامذة غدا ، واسلمت نفسي لسبات عميق طالما تمنيته وقليلا ما تحققت لي هذه الامنية . ومضت فترة لا استطيع ان أقيسها بعمر الزمن واذا بي ارى روحي وقد تركت جسدي جثة هامدة ولبست جناحين ، يا لعمري !! انهما جناحان من ذهب . من رأى جناحين من ذهب ؟ واخذت تختال كطاووس غدير وتحلق في الفضاء اللامتناهي انها اجتازت السماء الاولى وخلتهاسترتاح بعض الوقت من عناء السفر الطويل ولكنها على ما يبدو كانت اكثر نشاطا من أي وقت مضى فلم تعجبها هذه المناظر التي كانت تفوق اجمل ما على سطح الكرة وبدأت تقفز من سماء الى سماء كأنها تتخطى درجات سلم بسيط مما نشاهده في عالمنا الارضي وتجاوزت الست السماوات الطباق ووصلت الى السماء السابعة وراحت تنفض عن جناحيها ما علقت من اوضار السماوات الدنيا ووقفت امام شبح انسان غريب . انه يختلف عما ألفناه من الوان البشر ، ان له قرنين طويلين حادين وهامة ضخمة يكاد يلامس برأسه عالم الغيب ، وينتصب سور مرتفع كأرفع ما يتخيله العقل وليس هناك الا فجوة صغيرة في هذا السور المتد الى ما لايدرك البصر وذهلت روحي عندما رأت هذا الشبح المخيف فقالت له :

ما الذي تصنعه هنا ؟ هل انت من صلصال كالفخار ، أم انت من مارج من نار ؟

وبعد ان كان الشبح مرفوع الصدر جاحظ العينين تتأهب عضلاته للقيام ببعض التمرينات البسيطة واذا به يبدو كحمل وديع فاسترخى على صخرة ناتئة وقال :

انني حارس هذه السماء أمنع الدخلاء والطفيليين ولكنني أصبح مضيفا للفنانين والمبدعين . ألست من معشر العرب ؟

وذهلت عندما عرفها فقالت له : أو تعلم من الامور ما ظهر منها وما بطن ؟

فقال لا ، ولكن معجزة نبيكم الخالدة لا تخفى على ذي بصيرة ، وان العرب يقدسون الكلمة حتى ضرب المثل بلسان العرب .

فقالت متوسلة : أويحق لي ان انعم بالطواف داخل هذا السور العظيم ؟

فقال : ولم لا ؟ وانت ممن سيحتفل بك ابناء هذه السماء المشرقة .

وعاودتها الدهشة فقالت : وهل هناك بشر ؟

وبايماءة خفيفة قال : ولا يوجد هنا الا البشر . وخلع الشبح جسمه وبدت روحه ناعمة رقيقة فقال لها :

اتبعيني من هذه النافذة ولكن عليك الا تثرثري كثيرا فالقوم هنا يستغنون عن مطنب الكلام بالتلميح والاشارة . واذا بهما داخل السور .

وتقف روحي مزهوة تقول : ياللغرابة ، أنهار من خمر وعسل ، غابات من لوز ورمان ، جبل يمتد الى ما فوق السحب ، واد ينبسط الى ما يرضي استرسال النظر ، أليست هي الجنة التي وعد بها المتقون ؟

وبابتسامة لطيفة قالت روح الشبح : انها الجنة

التي خلقها خيال الفنانين في عالمهم السحري ، اما الجبل فجبل الالهام واما الوادي فوادي عبقر . اقفي أثري ادلك على ما يرضي هواك وتبعتها كطفل صغير في سن السؤال واذا بهما يقفان امام حجرة موصدة الابواب والنوافذ واخذت روح الشبح تدق على الباب واذا بصوت من الداخل يقول :

من الهاتف الداعي ؟

وفتح الباب ودخلتا . انه رجل ، زائغ العينين ، مسترسل الشعر ، مضطرب الانفاس يجلس وراء منضدة كدست فوقها الكتب ، يمسك بيده اليمنى قلما وباليسرى ورقة ويفرك بجبهته بين آونة واخرى .

وسألت روحي بكثير من التحفظ : وما يعمل الرجل ؟

فقال : انني شاعر .

وتملكها شيء من الفضولية فقالت : ولم لاتخرج الى هذه الرحاب الفسيحة تستلهم من زقزقة العصفور بيتا ومن خرير المياه بيتا ومن هسيس السنابل بيتا ثالثا .

وكأنه ضاق ذرعا بأسئلتها المتكررة فأحب ان يختصر الطريق فقال : لك شأنك ولي شأن .

وخرجتا . وودت روح الشبح ان تحاسب روحي على مافعلت ولكنها امسكت . ووصلتا الى خيمة منزوية فرأتا انسانا واقفا يتأمل بعمق بعض الاصباغ والالوان فرشت على ورقة سميكة كبيرة وهناك حطام اقداح مبعثرة وبقية اطمار بالية قذفت نحو جدار الخيمة التي هي ليست بالبناء المتماسك ولا بالطلل الدارس فسألت روحي : من الرجل ؟

فقال : اني رسام .

فقالت : وماتنتفع من هذه الاصباغ الكثيرة والاقلام المتعددة ؟ الا يكفيك قلم واحد ؟

وحملق الرسام في روح الشبح وكأنه اراد ان يقول ولم سمحت لها ان تدخل عالمنا ، معشر الفنانين ، ولكنه حول بصره نحو روحي فقال : يكفي ان ارضي نفسي ، ان هذه الاصباغ هي غذائي السرمدي ، وما ترينه من اقلام هو عكازتي الى دنيا الخلود .

ولجأت روحي الى الصمت وودعتاه وداعا حارا وتركتاه ينعم بجنته التي ابدعتها اصباغه واقلامه .

وسارتا ، ولكن روحي اخذت عندما سمعت صدى موسيقى مخملية تنبعث من مكان بعيد ، ويتغير المشهد فاذا بهما امام قصر منيف شيدت جدرانه من المرمر وارضه من الرخام وسقفه من النجوم اللامعة وانتظمت الفتيات في رحبته كعرائس البحار في ليلة زفاف اله البحار وهن يرقصن على انغام الموسيقيين الذين يرتدون زيا واحدا عرفت فيهم داؤود ومزماره يعلم رجاله الايقاع والوزن وهنا لم تحتج روحي الى سؤال ونسيت انها قدمت من العالم الفاني .

ولكن صوت زميلي الذي انام واياه في غرفة واحدة اخذ يهدر كالبحر في ارجاء الغرفة ويقول : اجلس ياسليم فقد ازفت الساعة السابعة وعلينا ان نستقبل يوما جديدا من تاريخ كفاحنا الطويل في سبيل لقمة العيش .

وبحركة لاشعورية لاادري كيف خرجت مني هذه الكلمات : دعني في العالم السحري فلن اعود للعالم الفاني ولكن قهقهته العالية نفضت عني غبار النعاس فاستقبلت يوما جديدا من تاريخ كفاحي الطويل في سبيل لقمة العيش .

الميادين   نظير جابر

مدرس اللغة العربية

وتقولين عاشــــق يتمرد ، غـــره أنـــه تنـــول ما ود

لين خصر ، ودفء ثغر ، وشيئا أسكر الدهر قبلما الدهر يولد

وندى موسم اباح لعينيــــه العطايـــا أنيقــــة فتـــزود

واحتراقا لولا الذي تكتم البنت ولولا الحياء ذاع وهدد

وبأني أسكنته في الحنايـــا من ضلوعي ربـــا يصان ويعبد

شاعر قلت فامنحيه ، فاما دفيء الشعر بالمفاتـــن غــــرد

لم أوفر وكل ما بي محب ، أمن الحب ان أجـــود ويجحـــد

* * *

لا وعينيك والتبرعم في النهدين لست الذي اذا نال عربـــد

انت في العين، في السواد من العين، وفي القلب، ربة تتوسد

لك عرش من الولوع ، على بسط حنان ، على سرير موطـــد

صولجان من الملاحة والنعمى ، فيامالك ، يامجيدا مؤيـــد

قصة عن وجاهة الحسن في الارض ، وآي على الزمان يردد

كل مافيك رائع تتمناه الصبايا وكـــل مافيـــك يحســـد

وتمجدت ، كل حبات قلبي ، كل عمري يصيح : فلتتمجد

ومريني اغزو السماء لعينيك ، اغامر ، أصـــد لعينيك فرقد

* * *

انا آمنت بالهوى يوم مالحت ، ومن قبل كنت قلبا مشرد

كان مارف للملاحة سرب ، ارتمي دون غيـــده أتصــــيد

صدف ما يقر في الشبك المنهوم حتى يغور او يتبـــدد

تلك حالي وكنت بعد ضميرا ، لم أقصر او أعي ، او اتردد

كان لي ألف موسم لنهاري ، غير ما تمنح المواعيد للغـــد

لم أحرم ، كانما بي أنيـــط الحسن ، مادل ، او زها ، او تأود

فاصرف في هذه الملامة ، لا تقسي على من رأى ، فحب ، فوجد
فعنا للفتون يحرق عينيه بخورا ، وشاد للحسن معبد
غير اني والحب عندي ارتماء ، لا احب الطريق سهلا معبد
لا أطيق الهوى عطاء ، وغدقا ، واحب الهوى لظى تتوعد
ثم اني أحب حبي سعيرا لافحا كل ساعة يتجدد
لا تنيلي قلبي الذي يتشاه ، وخليه يستثار ويحتد
اوصدي الباب دونه واحرميه ، واشيحي عنه اذا ماتودد
كذبي،وادعي ، وتيهي ، وصدي،واتركيه يشقى وحيدا ويسهد
عليه واخلفي ودعيه يتلوى على الوعود وينهد
فاذا ما منحته فامنحيه ، ما يخليه لاهثا يتوجد
عذبيه أغلى الثمار عزيز ، ورخيص الجني يسير ممهد
حلوة انت والذي كحل جفنيك دون كحل ومرود
حلوة انت والذي كوكب الثغر فخلاه جمرة تتوقد
والذي صب كل اشواق عدن فوق ثلج الخدين حتى تورد
حلوة والذي تفرغ للخلق نهارا وليلتين وجود
ليلة رشها على الشعر ، فالشعر اندلاق الشذا،ولمع الزبرجد
ليلة رشها على الجفن والعين ، فياليل ! أي سحر اسود
ونهار رمى به الجسد البض فياعاج غار غار العسجد
حلوة أنت غير اني احب الحسن يزهو بمجده ، يتمرد
فامنعي هذه المواسم عني واحرميني أجئك عبدا مقيد

* * *

تلك أشياء فاحفظيها فاني كل عمري بمجدها قد تعمد
لم أقلد في الحب قبلي محبا ، انا في الحب واحد لا أقلد

دمشق **خليل الخوري**

مشكلة الادب والادباء

ما هي بواعثها ؟ وما هو علاجها ؟

بقلم : عبد اللطيف اليونس

الادب في هذا البلد جامد راكد . والانتاج ضئيل نحيل . والتراث العربي يفتقر الى من ينهل منه ، او يضيف اليه .

في هذا البلد اقلام تحاول ان تكتب ، وان تبدع – ولكن محاولاتها تفتقر الى المثابرة والاستمرار .

نظرة عابرة .. الى أي مكتبة من المكاتب ، ووقفة قصيرة عند احدى واجهاتها تدل على نقص الانتاج في هذا البلد ، وضخامته في بعض البلدان الشقيقة.

نحن لسنا اقليميين ... وكل كتاب عربي جيد هو ثروة للامة العربية كلها ، ولبنة في جدار مجدها وتاريخها . هذه قناعتنا وعقيدتنا . ولكن الادب صورة حية لواقع المجتمع الذي يعيش فيه الاديب . ونحن لانتظر من اديب « تونسي »او « مراكشي » ان يصور مجتمعا « سوريا » او « كويتيا » او «يمنيا » فهذه مهمة الاديب في كل قطر ، وهذهرسالته وواجبه.

ثم : ان الامة – كل امة – اجزاء يكمل بعضها بعضا وفئات قد تختلف مناهجها وميولها ورغباتها ونزعاتها ، ولكل واحدة من هؤلاء قلم يفصح عنها ، ويعمل على صهرها مع اخواتها – شأنه في ذلك شأن الابرة التي تلملم اطراف الثوب ، اوشأنالمغزل الذي يحبكالخيط.

فمهمة القلم مهمة بناءة – الى جانب كونها مهمة تصوير وتعبير .

ومن هنا نشعر بتقصيرنا في القيام بواجبنا،ونشعر بقصورنا عن اللحاق بالركبالمنطلق نحو الآفاق البعيدة. واذا حاولنا ان ندرس اسباب ركود الادب في سورية ، واسباب تأخره وجموده ، تهنا عن السبيل وقد نضيع .. فبعضهم يعزو هذه الاسباب الى فقدان التفرغ ، وبعضهم يرى في قلة وسائل النشر حافزا على الجمود والركود ، وآخرون يرون الادب وسيلة – لاغاية او سبيلا – لاهدفا !

ولعل هذه الاسباب – كلها – وجيهة ومعقولة ، ولكن هناك سببا آخر لايقل عنها اهمية – ولعله يزيد . وهذا السبب هو : ازمة النقد ، وندرة الناقدين .

انه لايمكن ان ينشأ ادب جيد ، ولا ان يكثر الانتاج الادبي الا اذا اصطدمت الاقلام مع بعضها ، وظل ميدان الادب حافلا بالمتصارعين وقد ينشأ عن ذلك ان تتكسر بعض الاقلام ، وان تهن بعض القوى ، قوى الادعياء والمتطفلين ، فيتركون الحلبة للمجلين ، ويقبعون في زاوية متجر او مقهى ، او رصيف .

في حال الصراع الادبي يكثرالانتاج ، وترتفع نسبته ونوعيته ، ويحفظ للتاريخ منهالا بما يتبقى في الغربال. ومهمة الناقد في بلادنا مهمة عسيرة شاقة ،وصعبة شائكة .. ذلك لان النقد عند بعض الناس معناه التهجم على كرامة اديب وسمعته ، وربما على شرفه وعرضه .

حدثني صديق في بغداد انه كتب مقالا ينقد فيه كتابا سخيفا اصدره موظف كبير . ورد عليه احدهم قائلا : « من هو هذا الناقد الجاهل ؟ انه موظف صغير يتقاضى ستة جنيهات في الشهر ، فكيف يجرؤ على نقد موظف في المرتبة الاولى ؟ » !!

هذا هو مفهوم النقد عند بعض الناس ..! وهذه نظرتهم للنقد والناقدين ..!

واصبح ذلك الناقد الجريء بعدئذ من مشاهير الادباء في العراق . واما الموظف الكبير ـ ذو المرتبة الاولى ـ فقد تبخر اسمه في ميدان الادب وتلاشى .

ان للناقد حرمة يجب ان تصونها الدولة ، وان تحميها ، وان يصونها المجتمع ويحميها . وهي ـ كما يجب ان تكون ـ امنع من الحرمة التي يجب ان يتمتع بها المؤلف واجدى ، واسمى .

ان النقد ليس هدما ـ بل انه بناء . ليس تثبيطا لعزيمة الكتاب ـ وانما تشجيع لهم . وان الكتاب الذي يظفر باقلام جارحة هو الذي يحتل صدر المكتبات وتتناقله ايدي القراء .

قرأت مرة ان « برناردشو » وكان يومئذ كاتبا مغمورا قد اصدر روايتين فلم يعبأ بهما احد ، وظلت نسخهما قابعة في زوايا مظلمه من دور النشر . وفجاة ظهرت في الصحف حملات نقد عنيفة ضد « برناردشو » وامتدت الحملة بضعة اسابيع . وفجأة امتدت الايدي الى الاقبية المظلمه تخرج نسخ الروايتين لتبيعها للناس المتهافتين على شرائها واشتهر «برناردشو » بعدئذ واصبح من اعلام الادب في القرن العشرين .

وثبت بعد ذلك ان الكاتب الذي تناول «برناردشو» بنقد جارح عنيف كان « برناردشو » نفسه ..!

وهكذا يسهل النقد مهمة المؤلفين ، ويساعد اسماءهم على الذيوع ، ومؤلفاتهم على الانتشار .

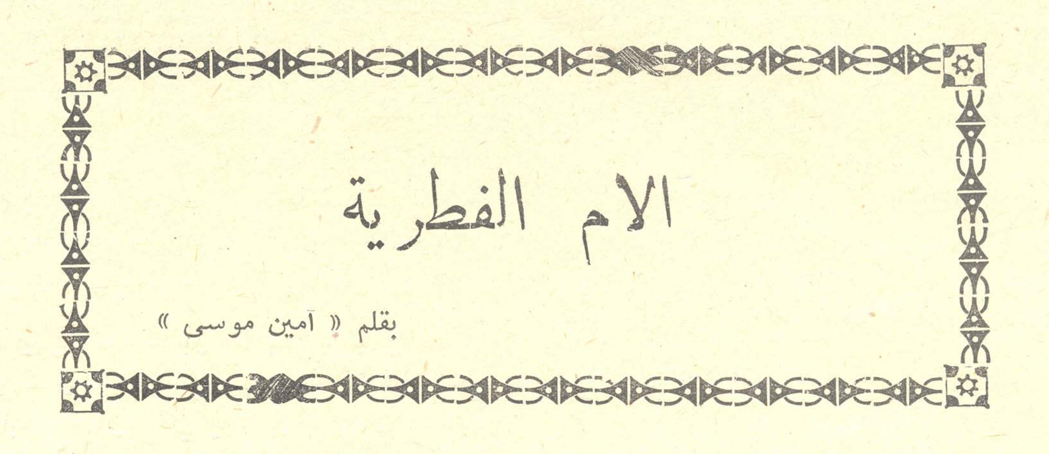
وسواء كان عندنا في رؤوس المؤلفين ، وانصارهم وذوي قرباهم عقول رياضية تستسيغ النقد ، وتتذوقه، وتؤمن بفائدته ، او لم يكن ... فان النقد واجب محتم لا لتنقية الادب وتطهيره من الشوائب فحسب ، بل لمضاعفة الانتاج ايضا ورفع سويته والسمو به .

وقبل ان نستحث الكتاب على الكتابة والمؤلفون على التأليف ، فأن من الواجب اولا ان نستحث القراء الذواقين على ابداء ملاحظاتهم حول كل كتاب يصدر ـ سواء كان للتشجيع او للتثبيط ، للثناء او للهجاء ، للمدح اوللذم . ومتى كثر صرير الاقلام قويت المنافسة وكثر الانتاج ، ثم كان التحليق ، والابداع .

ويجب ان لاننسى مهمة الدولة والا نغفل عن ذكر واجبها في هذا المضمار . فان على الدولة تبعة كبرى ، ومسؤولية ضخمة . ان عليها ان عليها ان تتعهدالادباء بالعناية والرعاية وان تكفل لهم حياة خيرة كريمة تحفظ كرامتهم ، وتصون سمعتهم ، وتريحهم من عناء البحث عن سبل اخرى تكفل لهم هذا ، او شيئا منه ـ على الاقل .

واذا كانت الدولة في السنوات الاخيرة قد بدأت تهتم بالادب والادباء ، وتعني بمضاعفة الانتاج ، ورفع كميته ونوعيته ، فانها ماتزال في اول الطريق . وان الواجب يقضي بان تولى هذا الموضوع عناية اكبر ، وجهدا اكثر .

عبد اللطيف اليونسي



الام الفطرية

بقلم « امين موسى »

وقفت العربة على ناصية الشارع ، وهبط منها رمزي يرتدي معطفا من الصوف له ياقة سميكة من الفراء . نقد السائق الذي نقله في تلك الليلة الممطرة الباردة مبلغا من المال تقبله الرجل بالشكر والسرور .

وانطلق رمزي في الشارع يتأبط حزمة كبيرة ملفوفة بالورق ، وراح يخوض بين ازقة الشارع الموحلة المظلمة . حتى وقف امام البيت الصغير الذي يقيم فيه مع والدته ثم دفع المفتاح في ثقب الباب واداره ثم دفع الباب ودخل يكاد يتعثر بحمله ... وسمع صوتا خافتا ينادي ـ اهذا انت يارمزي ؟

فدلف الى غرفة الاستقبال الصغيرة حيث كانت امه تجلس منطوية على نفسها وقد القت على رأسها وجيدها وشاحا ثقيلا من الصوف بجوار المدفأة ...

ومع ان الغرفة صغيرة والنار تتأجج في المدفأة الكبيرة الا ان شيئا ما في تصميم تلك المدفأة جعلت النار والحرارة تصعدان مباشرة خلال المدخنة دون ان تبعث اي دفء في الغرفة او في اوصال والدته العجوز التي راحت ترتعد في شدة من قسوة البرد .

وسألته امه ـ ما هذا الذي احضرته ؟.

قال ـ هدية لك لمناسبة عيد ميلادك غدا .

فقالت ـ آه اتنفق نقودك فيما لافائدة فيه ؟

بيد انها حين شاهدت ذلك الثوب الرائع من القطيفة الثمين هتفت مأخوذة ـ يالله .

وكان في الحقيبة ثوبا جميلا فاخرا لايقدر بثمن يصلح لكل الفصول والمناسبات ومن نوع لم تحتو عليه بعد اي خزانة ثياب في بلدتها ... ولما ارتدته انسجم فوق اجزاء جسمها كأنه قد اعد لها خصيصا على يد مهرة الحائكين وتنهدت في ارتياح وهي تقول ـ لعمري انه ليبعث الدفء في جسدي .

فقال رمزي ـ حسنا ... لاتخلعيه .

فحدجته والدته بنظرة استنكار ،ثم همت بالخروج فناداها ـ الى اين ؟

فأجابت ـ سأضعه في خزانة ثيابي ... ولسوف اشتري له بعض اقراص النفتالين غدا صباحا ...

وعبثا حاول اقناعها بألا تخلعه ، وبأنه قد دفع فيه مبلغا من المال لتنتفع به ، ولكنها لم تنصت له وانصرفت ، ثم عادت بعد قليل ، وقد ارتدت ملابسها الرثة واتخذت مجلسها السابق بجوار المدفأة وجسمها يرتعش من مفرقها الى اخمص قدميها .

وقال رمزي ـ ينبغي ان احضر لك طبيبا يا اماه .

فأجابت ـ لست في حاجة الى اطباء .

فقال مشفقا ـ انك مريضة بالانفلونزا ، وهذا المرض له مضاعفات خطيرة اخشى عليك منها .

فقالت بسخرية ـ تستطيع ان تسميها بالافلوزا ، ان شئت ، فما كنا نعرف في زماننا مثل هذه الاسماء ...وليس البرد الا بردا .

فقال ـ حسنا ... ولكنك لست على ما يرام .

فأجابته باقتضاب ـ ومتى كنت على ما يرام ؟

فقال مستعطفا ـ ألا تفكرين في مغادرة هذا المكان الرطب العفن ؟

فأجابته والدته ـ كان هذا المكان جميلا عندما اقمنا فيه انا ووالدك ، ان بعض الناس يتفيرون على

اثر امتلاء جيوبهم بالنقود فيشمخون بأنوفهم عن المكان الذي ولدوا ونشأوا فيه ، اما عن الصحة فان «راشد» الشيخ قد جاوز التسعين دون ان يشكو مرضا من الاقامة في بيته المجاور لبيتنا ...

وكان بوسع رمزي ان يتناقش مع اصلب الناس رأيا ، ما عدا امه ... التي اعتادت ان تسفه آرائه بسخرية ومرارة دون ان يجد في نفسه الشجاعة الكافية لمجادلتها .

وقال لها يحاورها ــ الا ندفع كل شهر ثلاثين ليرة ايجارا لهذه الاطلال المتداعية ؟

فقالت ــ وماذا في ذلك ؟

فقال الابن ــ وهل تعلمين كم تبلغ ارباحي في العام ؟ انني لاربح اربعة آلاف من الليرات برغم انني اسكن في العشش والحجور وكان يعلم انه يكذب على أمه .. فقد بلغ دخله بصفته مدير عام مصرف بلدته وصاحب اكبر نصيب في اسهمها اكثر من ستة آلاف ليرة في العام ، ولكنه كان يخشى ان يفاجئها بذلك وهي التي لم تكف لحظة واحدة عن كسب عيشها بعرق جبينها .

وفي الحق ما كان رمزي بالرجل ذي الاريحية والجود الكريم ، بل على العكس كان يحب المال حبا جما ، وجعل همه الاكبر منصبا على جمعه بشتى والطرق ... ومن اقرب سبيل ...

وقد اقام هو ووالدته في ذلك البيت القذر العفن بذلك الشارع ... ومما كان يحز كثيرا في نفسه ان يقبل مئات الدعوات في شتى الدور الفخمة دون ان يستطيع ردها في بيته .. وكان يشعر انه يخلع عنه كبرياءه وعظمته وغروره بنفسه بمجرد وصوله لتلك الناحية المؤدية لبيتهم حيث اعتاد ان يهبط من العربة ... فيتضاءل وينكمش ويمشي كسيف البال ينظر الى الارض في اضطراب وخجل بين الازقة الضيقة القذرة .

وطالما حاول ان ينتهي من ذلك الموقف الشائن ، باقناع امه ان في استطاعته تشييد افخر الدور وتأثيثها بثمين الاثاث وفاخر الرياش ، ولكنها كانت تأبى مغادرة البيت الذي اقامت فيه عددا من السنين وسمحت له بأن يعيش كما يريد ويرضى ، ولكنه أنف ان يترك أمه في اواخر أيامها فريدة وحيدة ويستأثر بالرفاهية والعيش الهنيء .

وفي مساء ذلك اليوم . ليلة عيد ميلادها ابتاع لها تلك الهدية وحملها لها وقد اعتزم ان يغريها بالنزول عند ارادته ... ومع ذلك فقد فشل في مهمته وشعر بمرارة الخيبة . وهي تغمغم قائلة ــ اذا كنت تربح اربعة آلاف ليرة فخليق بك الا تبعثرها في الهواء ؟

فقال حسنا ... ولكن يجب ان تنامي في الفراش وان احضر لك خادمة تقوم في شؤونك .
فقالت في حنق ــ كلا .. انني لا اريد ان ارى امرأة تعبث في منزلي .

وهكذا فشل .
وادعى في احد الايام بالمرض ولزم الفراش فاشتد بالام القلق على حياة وحيدها فأرسلت تستدعي الطبيب .

وكاد رأس الطبيب ان يصطدم بالسقف المنخفض فقد كان طويل القامة ضخم الجسم ملأ فراغ الغرفة . فمضى ينظر الى ذلك الفتى الذي بلغت ارباحه ستة آلاف ليرة في العام وهو يرقد على ذلك الفراش الصغير الصغير البسيط ..

ثم نقل بصره الى العجوز وقال لها وقد فهم الامر ــ ينبغي ان تلزمي الفراش حالا ...

فصاحت ولكنه في الفراش كما ترى ...

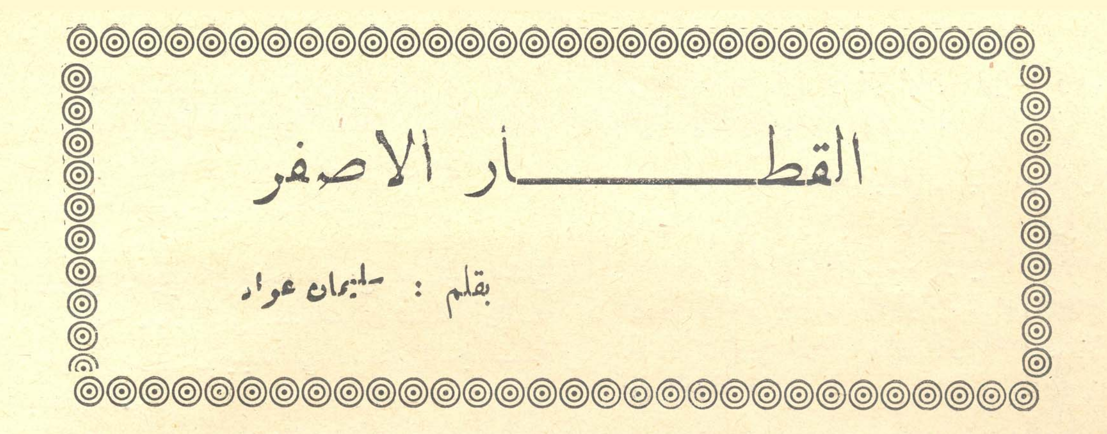
فقال الطبيب ــ انما اعنيك انت .

لقد كانت في اشد حالات التعب ... والدليل على ذلك انها لم تجد في نفسها قوة على مجادلة الطبيب فأذعنت ..

وبعد قليل نهض رمزي وغادر فراشه ، وحضرت الخادمة ، فأمسكت زمام البيت كما لو كان بيتهما الخاص ... مما بعث العجوز على الارتياح وعدم التبرم .

وفي النهاية كانت تقطن هي وولدها في افخم الدور الحديثة ... وقد كانت خطوة لا بأس بها نحو اقناعها بفساد رأيها احيانا .

امين موسى



القطار الاصفر

بقلم : سليمان عواد

الشموع في معبدي تنطفيء . الزنابق في قلبي تتساقط ، مسربلة بوشاح الذبول ، وانا في سبيلي الى شاطيء النار ، مكللا بأوراق خريف رحل .

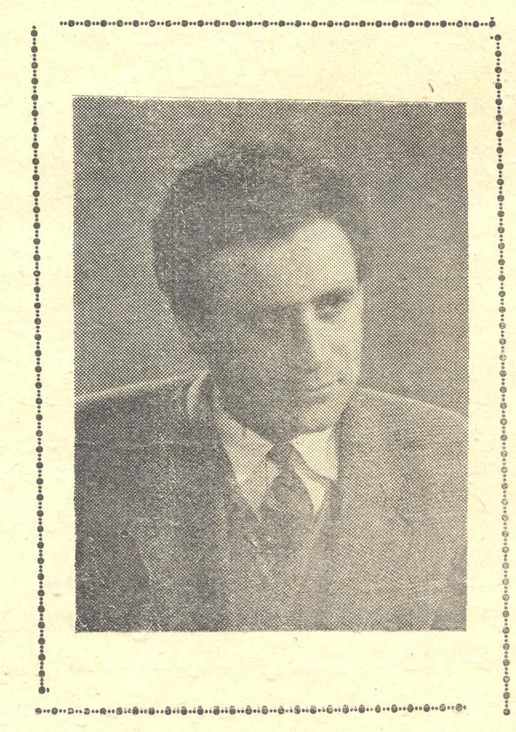
وآسفاه . النار لم تعد مشتعلة في المعبد ، لم تعد زهرات من وهج ، دف ، وحنان . اصابع الرماد القاسية تخنق زهرات النار . الزمن يتباطا في سيره ، يراوح في مكانه . الزمن يتحول في قلبي، الى تلال من رماد ...

العشق جنة . الشعراء المفلسون يتحولون الى شياطين وابالسة . ممنوع على الشياطين والابالسه دخول الجنة ، او الاقتراب من اسوار حدائقها المضطربة بالعبير ... لا تضرب النار باعمدة من الفحم . الفحم لم يعد يتحول الى نار . النار تنمرت من عهد «بروميثوس» . ثورة على الخنوع من زمان .

الشتاء على الابواب ، يقرع خشبنا بأيد من صقيع . ماذا هيأنا للشتاء ... اننا في القفار مشردون ، وفي جباهنا المغضنة تنوح مزامير البؤس والضياع . لا امل في الشفاء .. سنظل نرزح تحت كابوس الفقر والتشرد والاوهام .

سأطلق ذاتي من محبسها ، كعصفور دوري . سأطلقها ترتع في بحبوحة من الحرية . سأغرس فى جبهة الشمس اعلام الانتصار .. وسأردم هذا المستنقع الكريه ، حيث تموت ارواحنا في ذل والم ..

النجوم بدأت تغرب في قلبي منذ ابتداء الليل . النجوم اصبحت حقول اشواك ، تمزقني ، تمتص من ازهاري ، شذاها البليل . الليل غدا صخرة ، دون ينابيع ، دون عشبة ، دون فراشة تمر فوق اديمها الصلد القاسي ، دون رائحة حلوة ، تنداح في السكون.



مالي وللنجوم ، أليس الليل بأجمعه صخرة وحشية . والنجوم اليست احجارا خربة في صلبه .

يا ضياع العبقريات في ارض الحشرات ، ومستنقع الضفادع النقاقة .

سيري يا حياة .. يا عجوز بكماء ، عمياء ، سيري ياطاحونة مرعبة . اطحني عظام المبدعين ، وامتصي دم الاخيار ..

القيم ، المفاهيم ، المباديء ، تحفر قبورها بأيديها. القيم سافرت الى بلاد تغرق في نعيم الحضارة. المفاهيم نكست اعلامها في بلادنا من زمان . الضمير لم يعد له وجود ، في مستنقعنا الابدي ... لقد تلاشى ، والالم يعتصر كبده . مسكين . الدنيا تمشي على رأسها . ونحن اصبحنا زبدا ملقى على شواطيء التفاهة !!...

كل يوم احفر قبرا لنفسي وادفنها . كل يوم اقتل شبابي ، واصلب معنويتي ، واشنق نشاطي ، في مقهاي الوحيد ، في زاويتي المفضلة ، وانعي عمري المشؤوم .

صرت آلة . صرت شيئا من المقهى ، من المنضدة، من المقعد الجلدي الاخضر ... دخن السكائر ، اتر الخمرة يا شاعر الضياع ، ياأخا الفقر ، ياخدين الضجر .. آه الضجر ، بلابل لا مبالية ، ترحل من مكان الى آخر . انهار تجري نحو بحر الطمانينة والسعادة . وحياتي حصان خشبي يدور على نفسه ، ويدور ، في احتفال سخيف ، في مدينة العاب للاطفال ...

عد طفلا اكثر ، فأكثر ، ياشاعر الحب والنقمة ، ياشاعر التناقض ، ياقنديلا يضيء في ليل همجي ، وياصخرة تهوي بعنف في جحيم مستنقعنا الابدي!!.

المرأة بستان من الكرز ، غابة من الكستناء . آه.. احب الكرز في الصيف . واحب الكستناء في الشتاء. رغم ان الفقر يعسكر كفرقة من الغيلان في حياتي .

ستقول : ليست المرأة بستانا من الكرز ، لا ، ولا غابة من الكستناء . ولكنها جنينة من الورد ، والشوك . مقابل شيء من رائحتها لا بد ان تتلقى وخزات حادة من ابر اشواكها ...

وستقول : المرأة هاوية مخيفة تبتلع بكل بساطة ، ضحاياها البائسين .

وستقول : المرأة اسفنجة تمتص منك ماء الحياة وزهو الشباب .

وستقول : المرأة سوس ينخر في كبد الحياة وقيد يصفد امكانيات المعتقلين في سجن الافكار ..

آه .. سيري ياحياة . يا مصيبتي الكبرى ، وياترابا ثقيلا ينسفح بوحشية على وجهي ..

البرتقال الحلو الجميل ، كان يزهر نجوما ، في قلبي ، ولكن القحط اذبل ازهاره . وزرع في مكانها اسوارا من الحنظل ، وحقولا من العنف والشراسة .

والخبز ، الذي كان لا يستحق الحديث ، اصبح اليوم حكايات ، واساطير ، تروى بحزن ، في الزوايا المعتمة ، في الزوايا التي رحلت عنها طيور الخير والبركة ...

القمح مات من زمان . آه . كم اشتاق الى اكله مشويا في المزارع . وكم احن الى مرآى السنابل الخضراء تتماوج في سمفونية حقولية رائعة ...

الطير غادرت حقولنا . ولكنها تركت للبوم الناعق، مرتعا .. لقد آخينا الطيور الكريهة رغم ارادتنا ... صرنا نطرب لنعيق البوم وآاسفاه !! ..

آذاننا اصبح بها وقر .. وقلوبنا اليائسة ، رفعت لواء من الشوك ، وحناجرنا صارت بحيرة من تجديف، وتمزق ، وخضوع قسري لجبال من التراب والرماد ..
اجتر عمري في بلاهة . صدري تعفن من التبغ والخمرة ، ومن الروائح القاتلة التي تنشرها رغباتي الميتة . اجدف على الله . في ثورة عصبية مجنونه .

سامحني يا طفلي الصغير . كان بودي ان اجلب لك سريرا كطلعتك البهية . ولكن الشتاء جاء . ارغمني الفقر والبرد على شراء مدفأة للبيت . اما المعطف الذي ساتقي به غضب الشتاء ، فلن افلح هذه السنه باقتنائه .

الذنب ليس ذنب القدر ... ذنب اللاشيء والعدم ... بل ذنب فكري المتوحش الذي يجلد حياتي بسياط من نار .. وفقر .. وعذاب !! ...

وقلبي ، ماذا اصنع به .. لقد ورطني في حماقات كثيرة ، ودفعني قسرا الى ترسيخ دعائم حياتي ، في مستنقعنا الابدي !! ..

نجمة زرقاء كانت تذرف دموعها بصمت . لابد انها حزينة ، كحياتي ...

ولهذا خجل القمر من ضيائه ، وتوارى خلف أمواج البحر البعيد ...

تعالي يا نجمتي الزرقاء الحزينة . سأغسل رأسك في بحيرة نفسي الصافية ، . اما القمر الذي خجل من ضيائه ، فسأبني له من ضلوعي قصرا من الحنان ، وستسكنين هناك ، يانجمتي الزرقاء ، ستسكنين ..

الحزن ، قطار اصفر . نهر شربت الشمس مياهه، واكلت اسماكه وطحالبه . الحصى تكوم ، كأشلاء قتلى ، على ضفاف النهر . لم يعد انسان يزوره . الحق على المطر ، والثلج .. الحق على البحر الذي لم ينجده .. الحق على الشمس الجشعة .

... وانا ، في واقعي ، قطار اصفر ، ونهر كرعت الشمس مياهه !! ...

بلاغ لاصحاب العقارات المستملكة في منطقة دير الحجر والعادلية

بموجب قرار وزارة الزراعة رقم ١٠٦٩ تاريخ ١٩٥٨/١٢/١٦

استنادا الى قانون الاستملاك رقم/٢٧٢/ تاريخ ٩٤٦/٦/٦ وتعديلاته خاصة قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ١٠٨ تاريخ ١٠/اغسطس/١٩٥٨ فقد اصدرت وزارة الزراعة القرار رقم (١٠٦٩) تاريخ ١٩٥٨/١٢/١٦ باستملاك جزء من العقار رقم (١) من المنطقة العقارية العادلية في منطقة قطنا المرموز اليه على المخطط بحرف (ج) ، واتبعته بالقرار رقم (٣٨١) تاريخ ٩٥٩/٤/١٥ بتأليف لجنة لتقدير قيمة هذه العقارات نهائيا وقد قامت اللجنة المشار اليها بتنظيم ضبط كشف بناء على القرار المذكورالقاضي بتأليفها وقدرت بموجبه قيمة الهكتار الواحد من العقار رقم / ١ - ٢ / من منطقة دير الحجر (قضاء دوما) باربعمائة وخمسين ليرة سورية ، وقيمة الهكتار الواحد من جزء العقار رقم / ٨٠٤ / المرموز اليه بحرف (ح) بستين ليرة سورية . واودع ضبط الكشف مع الاضبارة الى وزارة الاصلاح الزراعي لاستكمال معاملة الاستملاك حيث يمكن لاصحاب الحقوق الاطلاع عليها خلال مهلة ١٥ يوما من تاريخ اعلان هذا البلاغ وفقا لاحكام المادة(١٠) من قانون الاستملاك حتى اذا كان لاحدهم اعتراض ما تقدم به ضمن مهلة عشر ايام من تاريخ التبليغ بالنسبة للاشخاص الذين يجري تبليغهم الفعلي وخلال نفس المهلة اعتبارا من تاريخ انتهاء مدة الاعلان المنصوص عنها في المادة ١٠ ، ١١ من قانون الاستملاك المذكور والا فانه يفقد حق الاعتراض بعد مضي هذه المهلة .

وزير الزراعة

التوقيع / احمد الحاج يونس

هذه امتي

شعر: سعيد قندقجي

اترع الكأس فالضحى من يديا والصباح البهي في مقلتيا
خفقات تلوح في موكب الدهر شهيدا يعيش في جانبيا
كم صبغت الوجود روعة اشراق وصغت النشد لحنا شذيا
أتحدى الظلام هيكل اجرام وقيدا من الردى اجنبيا
عربي انا اعيش وعندي ملحمات الكفاح وقف عليا
لن يعيش الطغاة فوق ربانا والبطولات من نسيج يديا
قد عشقت الدنا مطية احرار وطوقتها عبرا نديا
هكذا المجد ان أعيش وفي الدرب شعاع يهيم في ناظريا
فاسأل الدهر عن مواكبنا الغر ترود النجوم مهدا رضيا
لا نبالي الجراح في غمرة السا وجرح النضال كان شهيا
واماني النفوس دمدمة الموت فميت الكفاح يبعث حيا
كم شهيد على بقايا شهيد لقي الروع فاستجاب سخيا
ساقه المجد للعلا فتخطاه بعيدا الى الخلود نقيا
يلثم الارض ارضه ويغنيها نشيد الفداء لحنا زهيا
وهدير الدماء آيته الكبرى تصوغ الرمال روضا ذكيا
هذه أمتي أفاقت على النور نداء الى العلا ابديا
ومضت في دروبها تملأ الكون عبيرا من الهدى ودويا
صرخة البدر جلجلت فتهاوت قارعات العصور تلقي النعيا
واذا ابن القفار صنو حصارات يرود الدنا نداء ثريا
ها هو الدرب قد عرضت ثناياه ففجرته نضالا عتيا
يسحق البغي شرعة الغاب في الارض ويهوى بقبضتيه فتيا
شعلة قد ورثتها من يد الدهر وساح عجمتها عربيا
في دمائي تثور عربدة النصر وومض الخلود في مقلتيا
انا من امة تعيش مع الموت وتحيا مع الكفاح وريا
أنا من أمة يكللها الزحف اباء وعزة ومضيا
ذاك سفر الخلود يعبق بالغار ويمضي مع الخلود سويا

خالد يزحم الدروب وسعد يملأ الساح باللقاء صفيا
فاذا العرش لقمة في يد العزم واشلاء تميد خزيا وغيا
كان ظل السماء قبلا فأضحى وهو رهن الفناء ظلا زريا
ومضينا مع الزمان سراة ننشر النور موكبا عبقريا
ونشيد السلام في الارض صرحا أبدي البناء سمح المحيا
آية العرب ان تدك يد الظلم وتبني رؤى النشيد سنيا
وغلا الحقد اسود اللون في الغرب وماج الهوى يعد فريا
في ربى القدس طغمة الشر القت آية البغي بالظلام تزيا
ودوت صرخة البطولات في الساح فلبوا النداء زحفا وفيا
فاذا الدرب ملحمات كفاح واضاح تعيش في ناظريا
وصلاح أيا لهيب صلاح كان للساح رائدا ونبيا
تلك حطين لم تزل آية الغار وتاجا يخلد الغار فيا
ووثبنا نرد للغرب صاعا يوم اهوى بمخلبيه عتيا
في الشآم الحبيب يهزأ بالموت ويمضي مضمخا سمهريا
في ربى النيل في الكنانة حمراء ترد النداء هولا عصيا
في عمان الابي يهتف للثأر ويهوي على الطغاة أبيا
في روابي الاوراس تشمخ بالزحف نداء من الجراح نديا
وغدا فجرنا يعربد في القدس وعمان مشعلا ابديا
لن يعيش الطغاة فوق ربانا والبطولات من نسيج يديا
وجمال أيا نداء جمال يرهب الارض ماردا عربيا

سعيد قندقجي

اعلان

صادر عن امانة السجل العقاري باللاذقية

ادعى السيد فايق بن خليل عرنوق من اهالي متن عرنوق فقدان سند التمليك العائد للعقار رقم /١٢٣٩/ من المنطقة العقارية حصين البحر التابعة لمنطقة طرطوس قضاء وقدرا فمن كان له اعتراض على ذلك مراجعة الطرق القانونية خلال مدة خمسة عشر يوما اعتبارا من تاريخ نشر هذا الاعلان في الجريدة الرسمية .



* مايزال سيادة وزير الثقافة والارشاد الاستاذ ثابت العريس في القاهرة يشرف على وزارته المركزية ويبحث قضايا هامة تتعلق بالوزارة .

* ستقيم مجلة الثقافة قريبا في النادي العربي أمسية شعرية يشترك فيها كل من الاساتذة امين نخلة وعبد الكريم الكرمي ونديم محمد والدكتر بديع حقي وغيرهم .

* من ضيوف دمشق الاديبان الكبيران محمد ومحمود الخطيب .

* الشاعر الاستاذ نديم محمد اقام بمستشفى المجتهد عشرة ايام بعد وعكة شديدة ألمت به وقد عافاه الله وحل ضيفاً في بيت الوجيه محمد سليمان العلي لقضاء فترة النقاهة .

* ستصدر مجلة الثقافة في مطلع الشهر القادم عددا خاصا بمناسبة حلول العام الميلادي الجديد .

* اقام منتدى سكينة في الاسبوع الماضي امسية شعرية اشترك فيها كل من هيفاء عربي كاتبي وجورج سالم سيف وفواز الشعار .

* كان من ضيوف دمشق في الاسبوع الماضي الاديبان حامد محسنة ومصطفى مثبوت . وقد رحب بهما اخوانهم بما يتلاءم وخلق هذين الضيفين الكريمين .

* من المتوقع ان تصدر في مطلع الشهر القادم عن مجلة الثقافة مجلة اسبوعية يشترك في تحريرها كبار الادباء والمفكرين والفنانين .

* القى الاستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق محاضرة بين (الفصحى والعامية) حضرها عدد كبير من اساتذة جامعة دمشق.

* أقام الاستاذ عدنان الزين حفلة استقبال (كوكتيل) في بيته حضرها عدد كبير من ادباء دمشق .

* يوالي الاديب الكبير شاكر مصطفى نشاطه الفكري فقد ألقى محاضرتين في حمص ومحاضرة في حماة ومحاضرة في حلب كان فيها محط اعجاب جمهور المستمعين .

* سيصدر قريبا عن دار الثقافة بدمشق مجموعة من كتب شعرية تضم دواوين عدد كبير من شعرائنا الشباب .

* اقام ادباء لبنان حفلة تأبين كبرى في قصر الانيسكو في بيروت للاديب الكبير احمد عارف الزين وكان من لجنة الاحتفال خمسة وزراء وعشرون نائبا لبنانيا .

* افتتحت ثانوية عبد الرحمن الكواكبي ناديها الادبي الثقافي برعاية مديرها المربي الكبير الاستاذ نهاد الطرزي فلمدير ثانوية الكواكبي تقديرنا واعجابنا لما يولي النشاط المدرسي من جهد ورعاية .

* تصدر مجلة الآداب في مطلع الشهر القادم عددا خاصا عن النقد الادبي .

* صدر حديثا عن وزارة الثقافة والارشاد القومي القصة العالمية (الدار الكبيرة) تأليف الاديب الجزائري محمد ديب نقلها للعربية الدكتور سامي الدروبي .

جاءنا من رئيس اسرة الادباء الجامعيين ما يلي :

* تكونت في جامعة دمشق اسرة ادبية جامعية باسم (أسرة الادباء الجامعيين) اتخذت جامعة دمشق مقرا لها بصورة مؤقتة ، وقد تم وضع نظام داخلي للاسرة وقد جاء في مطلعه : ان اهداف أسرة الادباء الجامعيين جمع ادباء جامعة دمشق على اختلاف مدارسهم الادبية وعملهم الادبي في أسرة واحدة تعمل على خدمة الادب العربي عن طريق النشر في المجلات والصحف الادبية ، وفي نشرة غير دورية تصدر عنها ، وفي كتب تقوم باصدارها وبيعها ، وعن طريق الندوات والمحاضرات التي تقيمها وتسعى الاسرة في المستقبل لايجاد مقر لها خارج الجامعة بعد اخذ الموافقة على ذلك قانونيا .

نجــــوى

يا ضاربين على التاريخ كوخهـم — أبكيكم غيبا حبا وتحنانا
وان نهلت حمياكم يهدهدني — حلم ترنح ملء الروح سكرانا
وان لمحت على الذكرى لياليكم — أقدم الروح للاحلام قربانا
لقد تسمعت ألحانا ملونة — أصداؤها صاغها التحنان ألوانا
لمستها بيدي .. بالعين .. حولها — وهمي يقينا يصوغ الوهم نيسانا
تنمو وتمتد في دنيا مخيلتي — حتى تجلت ازاهيرا وأفنانا
ما ان سقيتك روحي ادمعا ودما — حتى انحنت ثمرا يفتن ريانا
ظمآن ينهل من روحي سلافتها — والحب اوهم أن النضج قد حانا
حتى جنيتك اشعارا ملونة — يصوغها الفن ألحانا وأرنانا

شعر : عدنان الزاوي

تحقيق مع خالدة عبد الله

السؤال – ألح كثير من قراء الثقافة على معرفة اسم خالدة عبد الله الحقيقي ... هل هذا الاسم هو الاسم الصحيح ام المستعار ، وان كان مستعارا لماذا اخترت هذا الاسم وتواريت بشخصيتك عن الناس ..

الجواب ... سئل برغسون .. هل يعتقد بوجود المسيح .. فقال .. لدينا الانجيل وفيه كلمات لا بد ان تعزى الى من قالها .. فلنسمه المسيح ... وانا ماذا يهم أكنت خالدة عبد الله ام لا ... اهناك كلمات ام لا ؟ اهناك افكار احدثت بعض الضجة ام لا ؟ وطالما هناك كلمات وافكار وقلم انثوي اذن لابد من وجود فتاة كتبت هذا ... ونحن نعلم بالبداهة ان لكل حادث سبب او اكثر اذن لابد من وجود مبرر لاختبائي وراء اسم انا انتقيه وطالما يلح القراء سأجيب ...

في بلدي نهضة ادبية والواقع والبراهين تدل ان نصيب المرأة من هذه النهضة وافر ونجاحها اكيد فنجد شاعرات واديبات وقاصات وروائيات ، ضجة هنا وسؤال هناك ، كل يوم اسم ، وكل موسم انتاج ، والمتأمل لهذا الانتاج يجد منه الصحيح والمزيف وهذا طبيعي لان الادب الصحيح سيجرف الادب المزيف حتما وينتصر عليه والاسماء منها المخلص الاصيل ومنها الدعي الدخيل وهذا ايضا طبيعي فسيخلد الاديب الاصيل وتختفي الاسماء المزعومة ... وادب الانثى سيخلد منه مايستحق الخلود غير عابيء بوجه صاحبته وروعة جسدها ورنة القائها وتموج شعرها وحسن انتقائها لافضل الثياب وترحيبها بضيوفها بشتى الاوقات والاشكال وحوادثها الخاصة تنثرها في كل مكان ... سيخلد من ادبها مايستحق الخلود لانه جيد واصيل . كل هذا طبيعي ويحصل في معظم البلاد اما الغريب والشاذ والذي يدفعنا الى التأمل والوقوقوف طويلا هو اتخاذ الادب تجارة والكتابة (موضة) ... انا افهم ان تصبح المطالعة زيا ويصبح الحديث عن نظرية جديدة ضرورة في المجتمع والمنتديات اما ان يستخدم الادب للشهرة الذاتية او بالعكس او يسخر الجمال و ... لرواج البضاعة الادبية فهذا ماينكره الادب والفكر والنقد ... كل منا له احداثه الخاصة وحياته ووسطه وصحبه وزمانه يصرفه أنى شاء ومكانه يختاره حسب هواه .. وهو حر في هذا كله اما ان يتخذ احدنا حياته وشكله ومغامراته للدعاية الادبية او يستغل الادب لذلك فهو الشواذ عندنا يجد ان الكاتبة قد تملك الامكانية ولكنها بين يوم عينه ونظرة بسيطة يلقيها احدنا على الاسماء الادبية وليلة اصبحت اديبة كبرى وشاعرة مبدعة تفتح عينها فتجد حولها الف معجب ومادح ومتملق فتنسى في غمرة نشوتها بالمديح والاسم الكبير يحتل الصحف والمجلات والمنتديات فتنسى رسالة الادب الصحيح والنضال القاسي الذي يفرضه على الاديب فتموت او تخبو الشعلة الكامنة فيها في وهج الاضواء الساطعة والضجة المصطنعة وتستمر حيث الانوار والثناء ... وتسيء بذلك الى نفسها كأديبة وانسانة لان هناك فرقا بين الحكم الموضوعي والشخصي ... والاديب الاصيل يتوق الى الحكم الموضوعي والنقد الصحيح ، النقد الذي يدفعه الى المزيد من الانتاج والجودة والاخلاص وهنا اقول آسفة : هذا غير متوفر عندنا وان الرجل اساء ويسيء الى المرأة الاديبة والمتأدبة عندما يقرن اسمها وشكلها بانتاجها ... وكثيرا ما يظلمها ايضا لهذا السبب ... ولهذا تواريت لارى الحكم الموضوعي والنقد الصحيح لارى من ينقد للنقد ويسأل للسؤال لا تدفعه المجاملة الى الاطراء او يمنعه

الحياء عن العنف ... وما ذنبي ان وجدت في زمان يفتقد النقد الحق والنظرة السليمة وما ذنبي ايضا ان كان معظم ادب الانثى في بلدي ادب شهرة ، ومنتديات آخر ما يهمها انتاج الاديبة .

السؤال ... ما رأيك بانتاج اديباتنا سواء في القصة او الشعر ...

الجواب .... هناك ازمة اجتماعية وزمنية في بلادنا .. ازمة في البيت بين القديم والحديث ، وفى الشارع بين التجديد والتقليد وفي المجتمع بين المستقبل والحاضر وفي نفس الفرد بين رواسبه ونوازعه ... وهذه الازمة تتعمق اكثر فأكثر في حياتنا وشارعنا في عملنا ومفاهيمنا ، وتملك علينا انفاسنا .. والى جانب ذلك كله هناك ازمة امرأة .. حياتها بين العلم والبيت ، حيرتها بين العمل وعدمه ، صراعها من اجل ذلك تريد الاثبات انها انسانة لها حياتها وميولها ورغباتها ... تخبطها في متاهات الدروب فشلها تارة ونجاحها اخرى ضياعها بين أنوثتها الحقة ورغبتها للحاق بالرجل ومشاركته فعليا ... أاترك الطفل الحبيب الى العمل اتهجر البيت جنتها الصغيرة الى الشارع .. أتتخذ من الادب مهنة لها .. ماذا تعمل وكيف ومن حولها غارق في آلامه واحداثه . دماء تراق هناك ومؤامرات بالقرب منها الف مريض بحاجة لدواء والف طفل بلا مأوى والارض عطشى تستجدي السماء غيثا وتيارات فكرية وادبية وسياسية تجهلها هربها الى الزخرفة والزينة . مجابهة الاخ او الاب بعنادها وخطتها سيرها في الدرب الوعرة تعثرها مرارا ومرارا كل هذا يشكل ازمة كبرى وتمسك القلم لتكتب فيقصر تفكيرها عن مستوى الازمة الفعلية (وهذا شأن الجيل بكامله احداث الازمة اكبر منه لذا يعجز عن استيعابها والانطلاق منها) لذا تهرب من هذا كله وتلهى باشياء سطحية ضحلة ، انها تخاف ازمتها وازمة جيلها وصراعها الفعلي ... انها لا تزال محجبة نفسيا وروحيا وفكريا .. لقد انتصرت ظاهريا على تقاليدها ومشت عارية الرأس واليدين ولكن الحجاب لا يزال كثيفا كثيفا حول روحها وافكارها وعواطفها واعماقها منهن من عرفن هذا ونقمن عليه وثرن فجاءت ثورتهن نوع من الميوعة والاستهتار والاباحية بعيدة كل البعد عن الصراع الصحيح ... ان من تحب مثلا وتثبت انها انثى بحبها وعواطفها بوضوح من تتحدى وتترك البيت الى العمل تقف الى جانب الرجل موقف الند للند ، من تثور ضد زواج فاشل او مفاهيم بالية ، من ترفض ارغام الاب لها والتدخل في شؤونها ، من استطاعت ان تملك حريتها لم تفعل هذا بسهولة ويسر ... انها فعلته وحصلت عليه بعد صراع عنيف ومحاولات عديدة اعطتها كل ماتملك من وقت وثورة وتفكير فأين هذا الصراع النفسي والاجتماعي في ادبنا .. اننا نلمح بعض بوادر هذا الصراع لدى اديباتنا الاصيلات وهذا الادب لا يزال معظمه يعيش في الظلام والدروج الصغيرة بينما تحتل الصحف اشياء ثانية .. فهن اما لم يعرفن الازمة او انها اكبر منهن ، ادب من انتاج اديبات المنتديات والشهرة السريعة البعيدات كل البعد عن الازمة والصراع .. والى ان تعيش الانثى حياتها وتتعرى امام قلمها روحيا وفكريا واجتماعيا ، سيظل انتاجنا سطحيا ضحلا ... هناك ادب صحيح واديبات اصيلات اتمنى من اعماقي الا يجرفهن تيار الشهرة السريعة لاننا بأشد الحاجة اليهن ... اننا امة تعيش ازمة وبحاجة الى تخليدها والسمو بها ... والمرأة العربية قادرة على ذلك لانها تملك كل الامكانيات ...

سؤال ... هل تعتقدين ان النزاهة تملك زمام نقد الشباب لانتاج هؤلاء الاديبات ..

الجواب ... كلا ... هناك امور وامور تكمن وراء نقد رجالنا لاديباتنا ... الرجل عندنا رغم سيره في الركب الحضاري ظاهريا لايزال يعاني صراعا داخليا هائلا تجاه عواطفه وافكاره ومجتمعه ورواسبه وتقاليده وحرمانه الطويل وجدب حياته وحرمانه الطويل كانسان يعيش في امة شوهت الظروف كثير من اصالتها وشوهته معها فليس هو بالانسان العصري ، يرى النساء امامه ويعاملهن معاملة الند للند ولا هو بالانسان القديم الانثى بالنسبة له دمية صماء بحاجة الى المديح والاطراء ومن الضروري حيازتها بأي ثمن وصونها في علبة محكمة الغطاء ... ولذلك نراه شعوريا ولا شعوريا يساير الانثى الاديبة ويتملقها ويجري خلفها ... انه يريدها يرغب بها والنقد الصحيح ينفرها فليدعه جانبا وليتخذ من ادبه وادبها نقطة انطلاق للوصول اليها غير عابيء بانتاجها وعرفت هي هذا واتخذته وسيلة ارتادت من اجلها الصالونات الادبية متخذة من جمالها واناقتها ورنة صوتها اداة نجاحها ... واذ بها لالقائها بضع كلمات مرصوفة سميت شاعرة ، ولسردها حادثة او اكثر بكلمات

عادية اصبحت اديبة لامعة ... واختلط الحابل بالنابل وضاعت الاديبة الحقة في هذه التيارات .. لقد ولجت المرأة الميدان الادبي من درب غير دربه فكانت الشهرة السريعة سببا في موتها والقضاء عليها كأديبة وانسانة .. لان المديح المبني على أسس شوهاء غالبا مايقتل الموهبة ويدفعها الى الانتحار ولعل الرجل يريد هذا ايضا فسيد الساح يكره من ينازعه ملكه ويشركه عالمه فليقتل المرأة الاديبة قبل ان تولد بل ليخنقها وهي بعد وليدة تحبو وتتعثر في اول الطريق ... فيخلو له الميدان يصول فيه ويجول ...

السؤال ... بماذا تنصحين اديباتنا الناشئات ..

الجواب ... النصح عادة غير مستحبة لانه يحمل صفة الامر وهذا مايبعدني عنه .. ولكني اقول بصراحة ان الشهرة السريعة والصعود قفزا الى القمة يودي الى الهلاك ويدفع صاحبه بل ويجبره على العودة الى الحضيض ... والادب عادة لا يخلد الا بالانتاج الجيد البعيد عن كل غاية .. ان الادب الذي يخلد على مر الدهور يكون بعيدا عن الزيف والتملق والصنعة انه ذاك الادب ينبع من اعماق الانسان موشكته وحياة الاديب لهذه المشكلة وتبنيها والتخبط بها غير عابيء بنقد ناقد او قول قائل .. يكتب ولا يهمه أادى انتاجه الى المجد والشهرة ام الى المحكمة والمشنقة .. وهذا الادب يرفع صاحبه ويسمو به ... وادبنا النسوي لايزال يلملم خطواته المتعثرة في هذا المضمار لان اديباتنا يركضن وراء الشهرة والظهور بالمنتديات ويستجدين الشهرة والمديح والثناء بأمور بعيدة كل البعد عن الادب والانتاج الصحيح وهذا بالطبع يمنحهن شهرة سريعة وضجة مجلجلة ...

والادب باعتقادي هو غاية الاديب وادبنا النسوي لايشذ عن ذلك فلا يمكن له الخلود الا بالاخلاص له والحياة من اجله ولاجله وسيأتي اليوم الذي لا نجد فيه صالونا تنشد فيه فلانة وفلانة او تتحدث وانما نجد قصصا تروى واناشيد تنشد ... واعيد القول ان كل شهرة لاتبنى على الانتاج الصحيح شهرة زائفة سريعة الزوال شأنها شأن اللحن الخفيف تملأ الدنيا ضجة لتموت مع هذه الضجة وتخلد السنفونية التي عاش صاحبها في الظلام ولم يعرفه غالبا من حوله